



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار تليجي الأغواط
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية



الصلات الحضارية بين مصر الفرعونية وبلاد الرافدين (3200 – 404 ق. م)

مذكرة تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في تاريخ الحضارات القديمة.

تحت إشراف الأستاذ:

من إعداد الطالب:

عبد الوهاب كيدار

محمد فرح

لجنة المناقشة

احمد حمدي.....رئيسا

احمد دمانة.....مناقشا

عبد الوهاب كيدار.....مشرفا ومقررا

إهداء

"و قل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا" صدق الله العظيم
إلى من زرعتني في ارض طيبة و سقاني بمكارم الأخلاق، إلى الذي تعب لأرتاح أنا، إلى من علمني
النجاح قائلا "بعد البداية نهاية و بعد العمل راحة و نوم، و كل من تعب نال و كل من كسل
خاب... أتعب نفسك ترتاح"

"أبي" الحبيب أقول شكرا و رعاك الله يا شمعة دربي
الدنيا أم: يا أجمل كلمة تتناغم الشفاه عندما تنطقها... إليك يا من كان جسدي ودمك
دمي أولد بين يديك في كل فجر جديد
إليك يا من يهتز لتضرعها عرش الرحمان و وضعت تحت قدميها الجنان يا أوفى صديقة يا
توأم الوجدان "أمي" الحبيبة
أبي، أمي حبكما يسري في الوريد و ينبض به القلب، أدامكما الله فوق رأسي و حفظكما .
إلى عائلة فرح إلى عائلة جوير إلى زوجتي الغالية، إلى شقائق النعمان يوسف، عبد القادر عبد
الباسط عبد الصمد بشرى.

إلى الأخت التي لم تلدها أمي سارة إلى من أتناغم معهم حنان الوالدين

إلى كل أساتذة العلوم الإنسانية قسم تاريخ
إلى كل من وسعتهم ذاكرتي و لم تسعهم مذكرتي

محمد فرح...

كلمة شكر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: "أشكروني ازدكم"

الحمد لله الذي وهب لنا نعمة العقل و العلم

الحمد لله الذي يسر لنا أمورنا و عززنا بالفهم

الحمد لله الذي وفقنا و سهل لنا التقدم إلى الأمام

الحمد لله و الصلاة على محمد أعظم النعم

قال صلى الله عليه و سلم: " من لم يشكر الناس لم يشكر الله "

أولاً وقبل كل شيء ، نشكر الله على توفيقه لنا لإتمام هذا العمل كما نتقدم بالشكر

الجزيل إلى أستاذنا المشرف " كيدار عبد الوهاب " والذي لم يبخل يوما علينا بنصائحه

ومعلوماته فلك منا كل الامتنان أستاذنا الفاضل .

كل شكر وتقدير لأساتذة التاريخ .

فرح محمد.

شهدت مناطق الشرق الأدنى القديم قيام حضارات عريقة مثل حضارة بلاد الرافدين التي عرفت مجموعة من الأدوار السومرية والبابلية والآشورية، ويقابلها في نفس الحقبة التاريخية حضارة مصر القديمة، ومرت هي الأخرى بمجموعة من العصور، كعصر ما قبل الأسرات، وعصر الدولة القديمة وعصر الدولة الوسطى وعصر الدولة الحديثة، هاتان الحضارتان عرفتتا منذ الألف الرابع قبل الميلاد ثقافات قائمة بذاتها، وأخذ كل منها يتقدم على انفراد، وتطورت الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في كل من الحضارتين.

لقد تمكن سكان بلاد الرافدين وسكان مصر القديمة من التواصل فيما بينهما في العصور القديمة، ووفقاً لأبحاث الأثرين أن جميع شعوب الشرق القديم كانت على صلة ببعضها البعض، وكانت التجارة قد عرفت طريقها بين هذه الشعوب، فاتصلت مصر ببلاد الرافدين وأخذت مصر من بلاد الرافدين شيئاً من مظاهر حضارته، مثل الأختام الاسطوانية التي يعود تاريخها إلى عصر ما قبل الأسرات، إضافة إلى تأثيرات في العمارة والفن.

ولم يكن اتصال مصر ببلاد الرافدين أمراً عسيراً إذ أن مناطق الشرق الأدنى تتميز بسهولة الاتصال فيما بينها، والسبب في ذلك البيئة الطبيعية المناسبة فتميزت مصر بموقع جغرافي ممتاز، إضافة إلى نهر النيل والذي يعد من أهم الموارد الطبيعية، وتقابل مصر بلاد الرافدين التي تميزت هي الأخرى بموقع استراتيجي إضافة إلى نهر دجلة والفرات، حيث سيطرت هذه الأخيرة على الطرق التجارية، فبلاد الرافدين كما هو معروف أنها تفتقر للعديد من المواد الأولية كالمعادن والأحجار والأخشاب على عكس مصر التي كانت غنية بهذه المواد وخاصة الحجارة والمعادن، هذا الافتقار جعل ملوك بلاد الرافدين يوجهون أنظارهم لمصر.

أما عن أهمية الموضوع فتكمن في البحث عن كيفية حدوث التواصل بين مصر القديمة وبلاد الرافدين، الذي جعلني أختار موضوع الصلات الحضارية بين مصر وبلاد الرافدين هو حب الاطلاع على نوع العلاقات الحضارية والسياسية بين هاتين الحضارتين، وفيما يخص عن الدراسات السابقة فهناك بعض المؤرخين تناولوه في طيات كتاباتهم، ولم أجد كتاب يتحدث بالتفصيل عن هذا الموضوع، على غرار أطروحة دكتوراه أدرجت تحت عنوان "الاتصالات الحضارية بين بلاد النهرين ومصر القديمة" أما فيما يخص العلاقات بينهما فمن أهم أهداف هذا البحث هو إبراز الصلات بين

هاتين الحضارتين والتأكيد على أهميتهما بكونهما مركزين حيويين في الشرق الأدنى القديم، فقد تأثرت حضارة مصر بحضارة بلاد الرافدين والعكس وذلك عبر مختلف العصور. وبناء على ما سبق أجد نفسي أمام الإشكالية التالية:

● كيف كانت العلاقات بين بلاد الرافدين ومصر على مر العصور القديمة؟.

ويمكن أن أ طرح التساؤلات التالية:

1/ كيف كانت أوضاع مصر القديمة قبل وأثناء حكم الأسرات؟

2/ كيف كانت كذلك أوضاع بلاد الرافدين على مر العصور القديمة؟

3/ ماهو حجم التأثير المتبادل بين الحضارتين؟

وتتطلب الدراسات من هذا النوع إتباع المنهج الوصفي والمقارن وذلك بعرض الجوانب الأساسية في ظل الأوضاع الداخلية والخارجية في كل من مصر وبلاد الرافدين، وعليه فالمنهج الوصفي والمقارن هما الانجع لتحقيق المبتغى من الدراسة.

وللإجابة على التساؤلات المطروحة فقد اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع الأكاديمية، ونذكر في مقدمتها كتاب "تاريخ هيرودوت، كتاب سترابون الجغرافيا ، أما المراجع فهناك كتاب "أحمد أمين سليم" دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، إضافة إلى كتاب إبراهيم رزقانة وآخرون " حضارة مصر والشرق القديم" والذي تناول جانب من جوانبه بعض الصلات الحضارية المتبادلة، كذلك مؤلفات "محمد بيومي مهران" مثل "تاريخ العراق القديم" وكتاب "المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم" وغيرها من المراجع التي تناولت تاريخ مصر القديمة، وتاريخ بلاد الرافدين، ولقد أفادني كثيرا في بحثي هذا مذكرة أكاديمية أدرجت تحت عنوان "الاتصالات الحضارية بين مصر القديمة وبلاد الرافدين" إضافة إلى مذكرات أخرى اعتمدتها في بحثي هذا.

ولقد قسمت المذكرة إلى فصل تمهيدي وثلاثة فصول، فأما الفصل التمهيدي تناولنا فيه البيئة الطبيعية في كل من بلاد الرافدين ومصر القديمة والفصل الأول قمنا فيه بدراسة الحقب التاريخية لمصر من عصر ما قبل الأسرات حتى الدولة الحديثة ، ثم يليه الفصل الثاني والذي تناولنا فيه كذلك أوضاع بلاد الرافدين من حضارة الوركاء حتى ظهور الدولة الكلدانية، أما الفصل الثالث ويعد الأهم في هذا البحث بحيث يتناول هذا الأخير أهم الشواهد الحضارية التي كانت بين بلاد الرافدين ومصر القديمة،

وفي هذا الفصل تطرقنا إلى العلاقات الودية والعدائية بين هاتين الحضارتين خلال العهد البابلي والعهد الآشوري ، وقد أثرينا هذا البحث ببعض الملاحق التي لها صلة به.

وقد واجهتني في بحثي هذا مجموعة من الصعوبات كقلة المصادر والمراجع في هذا الموضوع، بالإضافة إلى مشكلة الوقت الضيق المخصص لإنجاز المذكرة وخاصة في هذا الموضوع الذي أمامنا.

I / حضارة مصر القديمة:

1-الموقع الجغرافي:

تقع مصر في واحد من أكثر المواقع أهمية في الكرة الأرضي، حيث تقع على أحد أطراف أفريقيا فهي تربط هذه القارة بآسيا، كما أن موانئها الواقعة على البحر المتوسط تجعلها وبشكل ما تلامس أوروبا⁽¹⁾، ومساحة مصر حوالي مليون كيلومتر مربع، وتشغل مساحتها شكل يكاد يقترب من المربع المتساوي الأضلاع ينحصر بين دائرتي عرض 22 و31° شمال خط الاستواء وخطي طول 25 و37° شرق غرينتش، وتطل مصر على أعظم بحرين هما كما ذكرت البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، وبمسافات طويلة، وهي تحتل مكانا استراتيجيا ممتاز بحيث جعلها صحاري، وهذا يدل على ارتفاع الحرارة في مصر. (أنظر الملحق رقم 1 ص 76)

2-أصل التسمية:

لقد أطلقت على مصر أسماء عديدة على مر عصورها القديمة أولهما اسم "كمى" وجمعها "كيمو" ويقصد بها السواد، ثم اسم "كمت" للدلالة على الأرض السوداء والخرمية، بالإضافة إلى ذلك سميت مصر "تاوى" بمعنى الأرضين إشارة إلى "تاسمعو" أرض الصعيد بالجنوب "وتاحو" أرض الدلتا بالشمال، كما عرفت باسم "ايدوي" بمعنى الضفتين الشرقية والغربية، و"خبشوت" بمعنى أرض القوة، و"جاه" بمعنى السليمة، وسموها أيضا "ياقة" بمعنى الزيتونة للدلالة على خضرتها الدائمة، أما اسم "اجييت" الذي أطلق على مصر فيما بعد فإن أول من أطلق هذا السم هو "هوميروس"، حيث دعاها "جب تيوس" أي أرض "تي" باللغة المصرية القديمة نسبة إلى الملكة المصرية "أوتيسوس" حسب النطق اليوناني⁽²⁾.

3-مصر القديمة:

تعتبر الحضارة المصرية القديمة من أقدم الحضارات حيث ظهرت قبل ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد⁽³⁾، وهذه الحضارة عبارة عن وادي النيل وهو مضطرب ضيق خصيب ممتدة ضفتي النهر بين

⁽¹⁾ مجموعة من المؤلفين، علماء الحملة الفرنسية (وصف مصر)، تر: زهير الشايب، ط2، صندوق التنمية الثقافية، مصر، 1992، ص 19.

⁽²⁾ ناصر الأنصاري، المجلد في تاريخ مصر، ط2، دار الشروق، مصر، 1997، ص 6، 7.

⁽³⁾ وليد علي الطنطاوي، الحضارة المصرية القديمة وأسراها، دار شاه علم، ماليزيا، (د.ت)، ص 04.

سلسلتين من الصخور، وعند متقطع الصخور تبدأ الدلتا وهناك سهل واسع تتخلله شعب النيل⁽¹⁾ فمصر كما وصفها هيرودوت أنها "هبة النيل"⁽²⁾، ومصر هي أسبق ممالك التاريخ حيث تميزت بالحضارة وانقسمت حضارتها إلى عصور، عصر الدولة القديمة وعصر الدولة الوسطى وعصر الدولة الحديثة، وعصر الضعف⁽³⁾.

أ- عصر الدولة القديمة: (2690-2180 ق.م).

ب- عصر الدولة الوسطى: (2060-1785 ق.م).

ج- عصر الدولة الحديثة: (1580-1085 ق.م).

د عصر الضعف: ضعفت جيوش مصر مما أدى إلى صعوبة تحديدهم للرومان ونتج عن هذه المعركة موت "كليوباترا" في معركة "أكتوم"⁽⁴⁾.

4- أصل السكان:

إن لكل حضارة ما شعب أو أقوام عاشت على أرضها، لذا سميت بالحضارة، فالإنسان هو صانع الحضارة، كما هو الحال بالنسبة للحضارة المصرية التي أجمع المؤرخون والعلماء في أصل سكانها. فبالعودة إلى الناحية الجنسية في فترة تكوين الأسرات الملكية الفرعونية نجد أن سكان مصر في هذه الفترة كانت قامتهم متوسطة حوالي خمسة أقدام، وشعورهم مستقيمة أو مجمدة ولونها أسمر وبني غامق، وشكل الرأس مستطيل ضيق بارز القذال، والوجه مستطيل متناسب مع الرأس والجبهة ضيقة، والأنف عريض، والذقن مدببة وعظام الحاجب ليست بارزة والفك غير بارز، وحجم الأسنان متوسط ويظهر هذا في عنصر "الحامين" الذي يكون الأساس الجنسي للمصريين ويسمى بالجنس الأسمر.

وقد عثر على مجموعات من الجماجم صغيرة الأنف ولا عريضة وإنما هي ذات أنف طويل ضيق بارز مما يدل على وجود عنصر الساميين، ثم بعد بدء الأسرات الملكية الفرعونية، وبعد الأسرة الثالثة ظهر عنصر غريب يختلف في مميزاته الجنسية عن الجنس الأسمر الذي وصفناه، فهذا

⁽¹⁾ شوقي أبو خليل، الحديث النبوي من الكتب الصحاح الستة، دار الفكر، سوريا، (د.ت)، ص293.

⁽²⁾ هيرودوت، هيرودوت يتحدث عن مصر، تر: محمد صقر خفاجة، دار القلم، مصر، ص74.

⁽³⁾ شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص293.

⁽⁴⁾ أحمد شويحات مهدي، الحضارة المصرية القديمة، (د.ن)، (د.م، ن)، (د.ت)، ص42.

العنصر الجديد عريض الرأس ليس عنده بروز في القذال، عريض الوجه والجبهة، أنفه أطول من أنف الجنس الأسمر وأضيق منها، الفك الأسفل أضخم، والدقن عريضة، وحجم الرأس أكبر، والعضلات قوية، ولكن قامته لا تختلف عن قامة الجنس الأسمر، ويسمي "اليوت سميث" هذا الجنس بجنس الجيزة إشارة إلى الجهة التي وجد فيها وهي منطقة "الجيزة" و"ممفيس".⁽¹⁾

وظهر في غرب الدلتا عنصر أشقر أزرق العينين وجدت آثاره في بعض مقابر العصر الفرعوني⁽²⁾ فقد كانت مصر القديمة مهداً للحضارات، وقامت هذه الحضارة على ضفاف وادي النيل في شمال شرقي أفريقيا، وقد عاشت هذه الحضارة لأكثر من ألفي سنة وبهذا أصبحت أطول حضارة في التاريخ، وقد أجمع المؤرخون على أن سكانها الأصليين كانوا من بني "حام" والأرجح أنهم جاؤوها من آسيا بطريق "برزخ السويس" من الشمال في زمن غير معروف، أما مصادر التاريخ المصري فكثيرة وأشهرها الآثار وهي بقايا المعابد والقصور والقبور والأهرام المشهورة، و تاريخ هيروdot اليوناني الذي عاش في القرن الخامس قبل المسيح وسافر إلى مصر وجال فيها ولكن جانباً كثيراً من تاريخه خرافي أخذه عن الكهنة والظاهر أنهم لفقوا قصصاً كثيرة تتعلق بأسلافهم⁽³⁾، وهو صاحب الكلمة المأثورة "مصر هبة النيل"⁽⁴⁾ وهو يصرح بأن هذا القول نقله هو عن أسلافه الإغريق، لما كان للنيل من أهمية بالغة في

تكوين مصر وتطورها عبر التاريخ، فالحياة في مصر ترتبط في جميع مظاهرها ونواحيها البشرية والحيوانية والنباتية بالنيل⁽⁵⁾.

فقد عاش معظم الناس في مصر القديمة في وادي النيل ويتراوح عددهم ما بين مليون وأربعة ملايين تقريباً في أوقات مختلفة خلال تاريخ مصر القديمة، وعاش السكان في الدلتا والواحات الواقعة غربي النهر وتحديثوا بلغة ذات صلة باللغات السامية في جنوب غربي آسيا وبيع بعض لغات شمال

⁽¹⁾ ممفيس: عاصمة مصر أيام الدولة القديمة ومؤسسها الملك مينا. أنظر محمد بيومي مهران، المدن الكبرى في مصر والشرق

الادنى القديم، ج2، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د.ت)، ص16-17.

⁽²⁾ إبراهيم زرقانة وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم، دار مصر للطباعة، مصر، (د.ت)، ص62، 63.

⁽³⁾ أندريه إمار وجانيابوايه، تاريخ الحضارة العام، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ص40-41.

⁽⁴⁾ هيروdot، هيروdot يتحدث عن مصر، تر: محمد صقر خفاجة، دار القلم، مصر، ص74.

⁽⁵⁾ النيل: عبارة عن نهر في مصر، كان قدماء المصريين في فجر التاريخ يطلقون عليه اسم (حابي) وكانوا يقدمون له القرابين إلى حين دخول الإسلام لمصر. أنظر: محمد جمال الدين الفندي، النيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993، ص13.

إفريقيا في الوقت نفسه، وكُتبت اللغة المصرية بالهيروغليفية،⁽¹⁾ وعرفت مصر القديمة ثلاث طبقات اجتماعية العليا والوسطى والدنيا، تكونت الطبقة العليا من العائلة المالكة والأثرياء وموظفي الحكومة وكبار الكهنة وضباط الجيش ثم الأطباء والطبقة الوسطى تكونت من التجار والصناع، والحرفيين أما الطبقة الدنيا وهي أكبر الطبقات فقد تكونت من العمال غير المهرة الذين عمل معظمهم في المزارع أما السجناء الذين يتم أسرهم خلال الحروب الخارجية فقد كونوا طبقة الرقيق⁽²⁾.

وقد اختلط سكان مصر الأصليين مع عناصر بدوية بيضاء من الغزاة أو التجار فمصر كانت مشبعة في العصر المتأخر وحتى قبله بجاليات أجنبية من الأجناس البيضاء⁽³⁾، ويقول جيمس بيكي: "أنهفي عصور ما قبل التاريخ كان الجنس الذي يسكن إقليم مصر، ولم يكن من الممكن تمييز أي اختلافات كثيرة بينهما في مستوى الثقافة العام أو اللهجات والعادات والشعارات المشتركة بينهما، على أن توحيد القطر الجنوبي والقطر الشمالي في مصر تحت حكم فراعنة الأسرتين الأولى والثانية، وقد أعطت دفعة قوية إلى ثقافة القطر الشمالي التي كانت تفتقر النوية إليها⁽⁴⁾."

II / حضارة بلاد الرافدين:

1- الموقع الجغرافي:

تشغل بلاد الرافدين المنطقة الممتدة من هضبة أرمينيا في الشمال حتى الخليج العربي في الجنوب، ومن الفرات غربا حتى ما وراء دجلة شرقا، وعلى ذلك فتعني بلاد الرافدين أرض النهرين، حتى المناطق الجبلية المتاخمة في الشمال والشرق، ولا يقتصر على الحدود السياسية الحالية لبلاد الرافدين التي اقتطعت بعض أجزاء هذه المنطقة لتدخل في نطاق الحدود السياسية لدول أخرى هي سوريا وتركيا وإيران⁽⁵⁾.

أما بطليموس فيقول في وصفه جغرافية العالم خلال زمانه من -خلال محمد شفيق غربال- ذاكرًا أرض واد الرافدين كالتالي: تنتهي بلاد ما بين النهرين من الشمال بذلك الجزء من أرمينيا تقع

⁽¹⁾ الهيروغليفية: هي كتابة مصر القديمة اكتشفت في حوالي 3200 ق.م، وكانت عبارة عن كتابة تصويرية، حيث أراد الكاتب كتابة كلمة ما برسم صورة تعبر عنها. أنظر نعيم فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى، دار الفكر، سوريا، (د.ت)، ص 95.

⁽²⁾ أحمد شويخات، المرجع السابق، ص 132.

⁽³⁾ شيخ انتاديوب، الأصول الزنجية للحضارة المصرية، تر: حليم ملوسون، دار العالم الثالث، مصر، د.ت، ص 21.

⁽⁴⁾ جيمس بيكي، الآثار المصرية في وادي النيل، تر: نور الدين الزراوي، ج 5، مطابع سجل العرب، (د،م،ن)، 1994، ص 10.

⁽⁵⁾ محمد عبد اللطيف محمد علي، تاريخ العراق القديم، (د،د،ن)، مصر، 1977، ص 11.

جنوب القوقاز ومن الغرب تحدها تركيا وشرقا أذربيجان وإيران من الجنوب الغربي وفي الشمال جرجيا⁽¹⁾، إن وادي دجلة⁽²⁾ والفرات⁽³⁾ الذي حمل الاسم الإغريقي ميزوبوتاميا "بلاد ما بين النهرين" وهو مهد الدول التي تعد من الأقدم في العالم حيث ينبع دجلة والفرات من جبال أرمينيا في البداية يكونان قريبين جداً من بعضهما ثم يتباعداً جداً ولا يقتربان إلا عند دخولهما أرض العراق حالياً، فيستقيم نهر دجلة في جريته وينعطف الفرات في صحاري الرمال، ثم يجتمع النهران قبل أن يصلا إلى البحر ويمتاز هذان النهرين ببلاد الكلدان⁽⁴⁾. (أنظر الملحق رقم 2 ص 77).

2- أصل التسمية:

إنَّ تسمية "ميزوبوتاميا" التي تفيد معنى "أرض ما بين النهرين"، أطلقها المؤرخ اليوناني "بوليبوس" (208-126 ق.م)، والجغرافي استرابون وكان المقصود بهذه التسمية المنطقة الواقعة فيما بين نهري دجلة والفرات وتمتد حتى حافة المناطق المرتفعة في الشمال حتى يدخل النهران الهضبة إلى منطقة بغداد الحالية حيث يقترب نهرا دجلة والفرات من بعضهما وتضيق المسافة بينهما إلى أقلا تساع، ولقد أصبحت التسمية ميزوبوتاميا معروفة في أوروبا كنتيجة لترجمة التوراة، وبالنسبة لنا فإن مصطلح "ميزوباتاميا" يتضمن مناطق متنوعة تقع ما بين جبال كردستان في الشمال إلى دلتا مستنقعات النهر في الجنوب، وما بين الصحاري والسهوب في الغرب ومنحدرات جبال إيران في الشرق وتقع معظم هذه المنطقة الآن في العراق⁽⁵⁾.

(1) محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، الدار القومية للطباعة، مصر، 1965، ص 1084.

(2) نهر دجلة: ينبع نهر دجلة شمال غربي ديار بكر ويصب في الخليج العربي بعد أن تجتمع مياهه مع مياه الفرات ليشكلا شط العرب عند بلدة القرنة وأهم روافده: الزاب الأعلى والأسفل والعظيم وعليه الموصل وتكريت وسامراء وبغداد طوله 1800 كلم.

أنظر: شوقي أبو خليل، أطلس الحديث النبوي، دار الفكر، دمشق، 2005، ص 171.

(3) الفرات: في أصل كلام العرب أعذب المياه والفرات نهر ينبع من شمال شرق تركيا ويخترق جبال طوروس ثم يدخل سورية عند بلدة جرابلس ويغادرها إلى العراق ليلتقي بنهر دجلة عند القرنة ليكون "شط العرب" الذي يصب في الخليج العربي ومن روافده البليخ، الخابور، طوله 2380 كلم. أنظر: شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 233.

(4) دياكوف كوفاليف، الحضارة القديمة، ج 1، تر: نسيم واكيم البازجي، دار علماء، دمشق، 2000، ص 81-82.

(5) أحمد أمين سليم، تاريخ العراق إيران آسيا الصغرى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص 372.

وكان هيرودوت اول من استعمل مصطلح بلاد آشور للدلالة على العراق كافة، كما استعمل مصطلح كلدي نسبة الى الكلدانيين الأراميين الذين أسسوا الدولة الكلدية بين القرن السابع والسادس قبل الميلاد.⁽¹⁾

وقد عرف استرابون منطقة بلاد الرافدين بقوله أن البلاد التي تحاذي بلاد فارس هي اقليم آشور ويفهم من هذا الاسم أي آشور بلاد بابل وجزء كبير من المنطقة المجاورة التي كانت تضم كل اقليم آشور ومركزه نينوى والضفة الأخرى لنهر الفرات وهي القسم الواسع الذي ينقسم بين العرب والسوريين.⁽²⁾

3- سكان بلاد الرافدين:

باكرت الحضارة في بلاد الرافدين في العهد الذي باكرت فيه مصر فسكنها شعوب متمدنة، وقد هاجر إليها عدد من الأجناس من أصقاع كثيرة فاجتمعوا وامتزجوا في هذه السهول الفسيحة الأرجاء جاءها من الشمال الشرقي ناس من التورانيين يشبهون الصينيون وأتاهم من الشرق طائفة من الكاشيين⁽³⁾ ولونهم أسمر قاتم وهم أشبه بالمصريين ونزل إليها من الشمال فئة من الساميين وألوانهم صافية وهم أقرباء العرب، فتألف هذا الشعب من مزيج من السكان، وقيل عن هذه المنطقة التي يسكن فيها هؤلاء السكان تدعى اليوم سومر وفي حوالي عام 3500 ق.م، بدأ السومريين في بناء أولى مدن العالم وأقاموا أولى حضاراته، وتزامن ذلك مع اختراع السومريين لأول نظام للكتابة في العالم وتطور هذا النظام الذي يستعمل الصور المعبرة عن الكلمات إلى نظام لرسم الأشكال بواسطة الإسفين ويدعى هذا النظام بالمسماري⁽⁴⁾.

وخلال فترة القرن الرابع والعشرون ق.م استولى شعب قدم من الغرب يدعى بالأكاديين على مدينة سومر وكان هؤلاء ساميين وهم شعوب تكلموا لغة ذات علاقة بالعبرية، وأقام الأكاديون

⁽¹⁾ Herodot, **Histoires**, Livr1, traduit par: legrand les belles lettres, paris, 1936, p177.

⁽²⁾ Strabon, **l'agographie de strabon**, livre 1, trad: Amedee, Hachette, paris, 1980, p 238.

⁽³⁾ الكاشيين: شعب آسيوي همجي هدد بابل بعد وفاة حمورابي فاستولى عليها، وأسس فيها السلالة البابلية الثالثة. أنظر محمد عبد الرحمن السيد، **الاتصالات الحضارية بين بلاد النهرين ومصر القديمة**، أطروحة دكتوراه، جامعة الزقازيق، مصر، 2005، ص 279.

⁽⁴⁾ شال ستيوبوس، **تاريخ حضارات العالم**، تر: محمد كرد علي، العالمية للكتب والنشر، مصر، 2012، ص 22.

إمبراطورية حكمت منطقة ما بين النهرين معظم الفترة الممتدة ما بين عامي (2300-539 ق.م)، وضمنت تلك المجموعات السامية البابليين والآشوريين⁽¹⁾.

ولقد تأثرت هذه الشعوب بالأنهار الكبيرة والصحاري الواسعة في العراق القديم مع تأثيرات أمثالها في مصر في بعض أمورها، واختلفت عنها في بعض آخر فقد كفل نهر دجلة والفرات لأهل العراق الأقدمين خصباً ووفراً لهم نصيباً كبيراً من الاستقرار في المعيشة والسكن الأمر الذي ساعد حضارتهم الأولى على أن تنضج في عصور مبكرة، لا تبتعد كثيراً عن العصور التي نضجت فيها الحضارة المصرية الأولى.

وتشير بعض الدلائل الأثرية واللغوية والتاريخية إلى تعدد أصول السكان في بلاد الرافدين وتتألف مجتمعات بلاد الرافدين القديمة من عناصر أصلية وجدت في البلاد قبل عصر الكتابة ومن عناصر قادمة، فالمناطق الرعوية والزراعية الخصبة جذبت القبائل غير المستقرة من البوادي العربية المجاورة من جهة أخرى، ولا يختلف التركيب السكاني للبلاد من حيث أصول الناس وصفاتهم العرقية وحسب بل أنهم يتميزون من حيث طرق حياتهم وفعاليتهم الاقتصادية وفي عصور ما قبل التاريخ لم يكن بالإمكان معرفة لغاتهم على الأقل، وهكذا عرفت أسماء الشعوب والقبائل التي احتلت ساحة التاريخ. من لغاتها المتداولة فيما بينها، وجاءت على أرض الرافدين موجات من البدو، عرفت في السجلات والوثائق الرافدية بأسماء مختلفة يمكن جمعها بثلاثة أسماء رئيسية هي الأموريين والأراميين⁽²⁾، وعندما تسربت هذه الموجات إلى أرض الرافدين من البوادي العربية كانت تختلط مع المجتمعات المقيمة من السومريين الذين كانوا يتكلمون السومرية، لتندمج بها بعدئذ وتدخل دورة المجتمعات الحضرية الريفية الزراعية والمدنية بمقابل المجتمعات البدوية المتنقلة موسمياً بحثاً عن المرعى والغذاء⁽³⁾.

(1) أحمد مهدي شويخات، المرجع السابق، ص 108-109.

(2) الأراميين: شعب جزري مترحل كان منذ الألف الثانية ق م ينتقل ما بين الصحراء السورية والفرات، وينتقل من حياة البداوة إلى الحياة الحضرية، استقروا في مستوطنات بلاد أمور (سوريا)، وبلاد بابل في النصف الأول من الألف الثانية ق م. أنظر هنري س عبودي، معجم الحضارات السامية، ط2، دار جروس برس، لبنان، 1991، ص 16.

(3) عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، مكتبة دار الزمان، (د،م)، (د،ت)، ص 09.

I/عصر ما قبل الأسرات 3200 ق.م:

يعد هذا عصر ما قبل الأسرات من العصور التاريخية في مصر، وقد اصطلح الباحثون على تسمية الفترة التي سبقت الأسرات الحاكمة في مصر (وتقابل عصر بداية استخدام المعادن في الأقطار الأخرى)، باسم عصر ما قبل الأسرات نظراً لما تميز به من مظاهر حضارية مهدت لقيام الحضارات التي شهدتها مصر في عصورها الفرعونية ففي هذه الفترة ازدهرت صناعة الفخار، وتأسست المعتقدات الدينية وكثر استعمال المعادن نسبياً وأخذ فن الرسم طابعه الذي تميز به طوال العصور الفرعونية، ومنه نشأت الكتابة، وفي هذه الفترة نشأت الوحدة السياسية في كل من الوجه القبلي⁽¹⁾ والدلتا، مهدت لاتحادهما الطويل الذي بدأه "مينا" مؤسس الأسرة الأولى وتمثل حضارات هذا العصر في الوجه القبلي⁽²⁾.

كانت أول المجمعات المعروفة في مصر القديمة قرى تأسست منذ أكثر من 5000 سنة مضت وبمرور الوقت أصبحت القرى جزءاً من مملكتين تحكمت أحدهما في القرى الواقعة في دلتا النيل والثانية في قرى جنوب الدلتا، وتقابل الوجه البحري⁽³⁾ والإقليم الجنوبي يسمى شمع، وتقابل الوجه القبلي⁽⁴⁾. فقد بدأت الحضارة المصرية حوالي 3200 ق.م، وحسب بعض الروايات المذكورة استطاع ملك الوجه القبلي واسمه "مينا" وهو الملك نفر اسمه بعلامتين هي "نفر" والتي تمثل سمكة القرموط وعلامة "مر" والتي تمثل وتد هذا ولا يزال المعنى الدقيق لهذا الاسم مثار للجدل بين الباحثين في علم المصريات، ويترجم باسم يحفر أو يشق القناة.⁽⁵⁾ من هزيمة ملك الوجه البحري في ذلك التاريخ بعد ذلك توحدت البلاد وكونت أول سلطة مركزية في العالم وأسس مدينة ممفيس عاصمة له بالقرب من

(1) الوجه القبلي: تسمية أرض الجنوب، وهو عبارة عن واد ضيق يتراوح عرضه ما بين 6 و30 كلم ينحصر بين الصحراء العربية في الشرق والليبية في الغرب. أنظر: جون ولسون، الحضارة المصرية، تر: أحمد فخري، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1995، ص46.

(2) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة، لبنان، (د.ت)، ص56.

(3) الوجه البحري: وهو عبارة عن مناطق عريضة واسعة من الأراضي التي تتضمن الكثير من الخلجان والروافد.

أنظر: سيريل الدريد، الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة، تر: مختار السويفي، ط1، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 1989، ص79.

(4) أحمد مهدي شويجات، المرجع السابق، ص32.

(5) سمير أديب، موسوعة الحضارة القديمة، ط1، العربي للنشر والتوزيع، مصر، 2000، ص136.

موقع القاهرة حالياً كذلك تأسست أول عائلة وهي أسرة حاكمة تشمل عدد من الملوك من أسرة واحدة، وقد حكمت مصر القديمة أكثر من ثلاث سنين⁽¹⁾.

أ-العصر الثيني أو الطيني (3200-2690 ق.م):

ثيني أو طيني نسبة إلى مدينة "طينة"، بالقرب من "جرجاسوهاج" الحالية ولاشك أن أهم ملوك هذا العصر هو "مينا" موحد القطرين وبه بدأ عصر التأسيس والبناء للدولة الموحدة، والذي اشتهر بأنه أصدر قوانين، وشيد المعابد، وأرسل البعثات العسكرية لمقاومة القبائل الرحل من الصحراء الليبية المناوئة التي كانت تحاول الاستقرار على وادي النيل، وانتهى حكم مينا بعد حوالي ستين عاما، وخلفه عدد من الملوك أتموا أعماله دون أن يكون لأحدهم بصمة خاصة وقد اهتموا عموما بالتشريع والإدارة، وتنظيم العبادة والشعائر الدينية، وشيدوا المعابد وبنو القصور وساروا على نهج "مينا" في مقاومة القبائل الليبية المناوئة، وفي هذا العهد خرجت أولى بعثات التنقيب في سيناء⁽²⁾.

وقد تمثل هذا العصر في الأسرتين الأولى والثانية وقد كشف عن آثارهما في كثير من أنحاء مصر في "تخن" و"ايدوس" و"سقارة"، وتجمع بين هذه الآثار صفات مشتركة، تدل على أن حضارة مصر في ذلك الحين إنما كانت حضارة عامة شملت جميع أنحاء البلاد، بل إن وجود آثار منها في شمال البلاد "النوبة" يدل على أنها امتدت في الجنوب حتى "كورسكو" تقريبا⁽³⁾.

ب-الأسرة الأولى والثانية: (3100-2686 ق.م):

يطلق المؤرخون على عصر الأسرتين الأولى والثانية أسماء عديدة منها "عصر بداية ما قبل الأسرات"، لكونه أول عصر حكمت مصر الموحدة خلاله أسرات ترتبط ببعضها بصلة الدم، وتم خلال هذا العصر تدعيم الوحدة السياسية بين الشمال والجنوب، وتوطدت دعائم الأمن والنظام في أرجاء البلاد ووضعت تقاليد الملكية ونظمت الإدارات، كما أن عصر هاتين الأسرتين كان فترة تدعيم للحضارة المصرية التي وضحت في عصر الأسرتين الثالثة والرابعة وأصبح لها طابعها الخاص الجديد المسمى "المصري"⁽⁴⁾.

(1) أحمد مهدي شويحات، المرجع السابق، ص32.

(2) ناصر الأنصاري، المرجع السابق، ص18.

(3) إبراهيم رزقانة وآخرون، المرجع السابق، ص70.

(4) أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة، بيروت، 1989، ص23.

2/ عصر الدولة القديمة:

يطلق المؤرخون على هذا العصر الذي يبدأ بالأسرة الثالثة وينتهي بالأسرة السادسة، عدّة تسميات منها: "عصر بناء الأهرام" دلالة على عادة ملوكها في تشييد أهرامهم الضخمة بالقرب من قصورهم في "ميدوم" و"دهشور" و"سقارة" و"الجيزة" و"أبورواش" كما تعرف "بالعصور المنفية" دلالة على استقرار ملوكها في العاصمة "منف" في فترة استمرت حوالي أربعة قرون⁽¹⁾.

وبدأت الدولة القديمة بعصر الأسرة الثالثة وبدأ هذا العصر بتولي الملك "بثرح" الذي اشتهر فيما بعد باسم "زوسر" (2630-2611 ق.م) لنحو تسعة عشرة عاماً، وقد سجلت بردية تورين التاريخية اسم هذا الملك بالمداد الأحمر تأكيداً لتمييزه وأهميته عهده.

كما اعتبره المؤرخ "مانيتون"⁽²⁾ بداية ملوك "منف" ارتبطت بعهد "زوسر" معالم حضارية كثيرة وأهمها مجموعته المعمارية في منطقة "سقارة" ومدلولات قصة المجاعة وابتداع التقويم المدني (النجمي والشمسي) في عهده ولم يكن الفضل في كل ذلك للملك، بقدر ما كان للرجل في دولته "أمحوتب" وسجلت ألقاب "أمحوتب هذا الذي عاش (2980 ق.م) في عصر "زوسر" باعتباره تالياً له ومهندساً، ومسجلاً لحواليات، وأميناً لأختام الوجه البحري وناظراً للقصر العالي، وكبيراً للرئين بصفة رئيس كهنة مدينة عين شمس، ويدل تنوع هذه الألقاب على أن الشخصية المثالية في عصره كانت هي شخصية من يجمع من كل ثقافة يصيب ولا يقتصر علمه على معرفة واحدة ضيقة.

وقد أشرف "أمحوتب" على بناء قبر ملكه "زوسر" وتوابعه في منطقة "سقارة" المجاورة للعاصمة وأجرى فيه ثلاثة تجديدات رئيسية هي: استخدام الحجر على نطاق واسع لأول مرة في الجزء العلوي من القبر وتوابعه والانتقال بمهنية هذا الجزء العلوي من شكل المصطبة المستطيلة إلى هيئة الهرم المدرج⁽³⁾ (أنظر الملحق رقم 3 ص 78).

(1) محمد علي سعد الله، في تاريخ مصر القديمة، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2001، ص 29.

(2) مانيتون: من المؤرخين المصريين القدامى، عاش في سمنود كان ملماً بالهيروغليفية وبالديانة المصرية، من أشهر مؤلفاته "تاريخ مصر" الذي كتبه حوالي 280 ق.م في عهد بطليموس الثاني. أنظر: محمد علي سعد الله، في تاريخ مصر القديمة، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2001، ص 17.

(3) عبد العزيز صالح وآخرون، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، الهيئة المصرية العامة، مصر، 1997، ص 61.

ولقد خلف "زوسر" الملك "سخم خت" (2648-2640 ق.م) والذي كشف له زكريا غنيم عن مصطبة حجرية ضخمة في الجنوب الغربي من هرم كبير المدرج وقد اعتبرها "زكريا غنيم" قاعدة لهرم مدرج لم يتم تشييده، ولقد قام كذلك باكتشاف جزء من السور الحجري المحيط بها ويلاحظ أنه قد استخدم في بناء هذه المقبرة أحجاراً أكثر ضخامة من أحجار الهرم المدرج ومجموعته كما اكتشف بها كذلك تابوت وبطاقة من العاج تحمل الاسم الملك "سخم خت" ثالث ملوك الأسرة الثالثة وخليفة زوسر، كشف له عام 1954 عن مصطبة ضخمة جنوب غرب الهرم المدرج ، ويعتقد أنها قاعدة لهرم مدرج لم يتم بناؤه وقد عثر بداخلها على تابوت من المرمر.⁽¹⁾ كما وجدت له صوراً على صخور شبه جزيرة سيناء تمثله مرةً بالتاج الأحمر ومرةً بالتاج الأبيض.

أما الملك "حوني" (2637-2613 ق.م) آخر ملوك هذه الأسرة فقد حكم أربعة وعشرون سنة بدأ خلالها ببناء هرمه في ميدوم ولكنه مات قبل أن يتمه، فأكماله الملك "سنفرو" (2589-2613 ق.م) (أنظر الملحق رقم 4 ص 79). أول ملوك الأسرة الرابعة⁽²⁾.

وتلي الأسرة السالفة الذكر الأسرة الرابعة وهي أسرة بناة الأهرام وهي تغطي طبقاً لمانيتون 284 سنة وتتضمن ثمانية ملوك، وقد ترك ملوك هذه الأسرة كدليل على قدراتهم الأهرام التي شيدها وأول ملوك هذه الأسرة هو "سنفرو"، وقد خلفه "خوفو"⁽³⁾ (2566-2489 ق.م) تولى العرش بعد وفاة والده الملك "سنفرو" والواقع أن اسم خوفو هو الاسم المختصر له إذ أن الاسم الكامل هو "خنم خواف وى" أي الإله ، حكم 23 سنة طبقاً لبردية تورين، وشيد الهرم المعروف باسمه. (أنظر الملحق رقم 5 ص 80)، والذي كان أكثر منه قوة وتأثيراً وهو يعتبر أحد ملوك مصر، وأصبح اسمه أسطورة بفضل الهرم الكبير الذي شيده في "الجيزة"، ليكون مقبرة له، كما أنه بنى المعابد وشجع على استكمال الأعمال النقدية في سيناء، والتي كان قد بدأها سلفه "سنفرو" عقب موت "خوفو" حدثت داخل أسرته بعض الصراعات على الخلافة نتج أن خلفه "دفارع"، ولم يبق في الحكم إلا مدة بسيطة، وقدم هرمه في محاولة لحو جميع ذكرياته، وتولى بعده أخاه "خفرع" الذي استمر في الحكم مدة طويلة،

(1) سمير أديب، المرجع السابق، ص 510.

(2) سمير أديب، تاريخ وحضارة مصر القديمة، مكتبة مصر القديمة، مصر، 1997، ص 65-66.

(3) سمير أديب، (موسوعة الحضارات القديمة)، المرجع السابق، ص 418-419.

إلا أنه ترك لنا بعض الآثار مثل الهرم الأوسط وتمثال أبو الهول، والتماثيل الأخرى الكثيرة وخلف "خفرع" (2558-2532 ق.م) "منكاورع"⁽¹⁾.

وتنتهي الأسرة الرابعة بطريقة غامضة، ويبدو أن أزمة دينية تسببت في نهايتها نتيجة لزيادة قوة التأثير الديني في عين الشمس، ومحاولته السطو على السلطة الملكية، ومحاولات الردع من آخر ملوك هذه الأسرة، وهو شبسكاف (2503-2498 ق.م)، ثم كان النصر النهائي من نصيب كهنة إله الشمس "رع"⁽²⁾.

أقام هذا الأخير هرمه بجانب أهرامات "خوفو وخفرع" وكما كان هرم أبيه أصغر من هرم جده، كان هرمه أصغر من هرم أبيه وهو أصغر الثلاثة، ولكنه تميز بغطائه من الحجر الجيري الأحمر وكان ارتفاع هرمه حوالي (66.5م) وبالرغم مما شيده سنفرو وخوفو وخفرع من أهرامات إلا أنها كانت عبئاً على اقتصاد مصر، ولم يعيش "منكاورع" حتى يكمل هرمه فأتمه "شبسكاف" بعده⁽³⁾.

وبنهاية الأسرة الرابعة ظهرت الأسرة الخامسة وضمت هذه الأسرة في بدايتها بني ممثلي فرع الأسرة الرابعة الكبيرين المنافسين فرع "خفرع" مثله "فنكاوس" وفرع "جد خفرع" الذي مثله "وسركاف" (2994-2487 ق.م) ولكن أوائل ملوكها لم يكتف بحق الملك عن طريق زواج أبيهم بوريثة عرش الأسرة الرابعة بل تعمدوا أن يردو شرعية حكمهم إلى أصل مقدس وإرادة ربانية وتلقب "وسركاف" أول ملوك الأسرة بلقب يناسب وصفه كمؤسس لأسرة حاكمة جديدة وهو "أرماعت" أي واضع النظام أو محق الحق⁽⁴⁾.

ويعد "وسركاف" من سلالة الفرع الأصغر "خوفو" حفيد "فارع" الذي أكد حقه في اعتلاء العرش بالزواج من البيت القديم ابنة "منكاورع"، والقصة التي وردت عن عصر الدولة الوسطى "بردية ويستكار"، ترى الملوك في الأسرة الخامسة ينسبون إلى "رع" وخاصة أوائل الملوك الثلاثة في الأسرة، أمهم كانت "رددت" زوجة الكاهن "رع" والقصة تشير إلى ظهور الأسرة⁽⁵⁾.

(1) ناصر الأنصاري، المرجع السابق، ص 21-22.

(2) محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص 111.

(3) ناصر الأنصاري، المرجع السابق، ص 22.

(4) عبد العزيز صالح وآخرون، المرجع السابق، ص 86-87.

(5) محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص 117.

ولقد تعاقب بعد "وسركاف" ثمانية ملوك تداخل اسم المعبود "رع" في الأسماء الشخصية لستة منهم "ساحورع" و"تفراركاك" و"شبسارع" و"هوفرع" و"منكاوهور" و"جدكارع" و"ونيس"، وظلوا أوفياء لرب الشمس، صاحب الفضل في ارتقاء أسرهم للعرش⁽¹⁾، وجميع ملوك هذه الأسرة أقوياء، وقد امتدت أعمالهم إلى كافة أنحاء البلاد، وأحياناً تعدت أعمالهم حدود البلاد، وأقاموا لمصر أسطولاً قويا فرض على جميع الجيران احترام فراغة مصر، واستقرت النظم في وادي النيل في عهد هذه الأسرة، وكان آخر ملوك هذه الأسرة هو "أوناس" وكان آخر سلسلة من الملوك ذوي الاحترام ولأنه لم يُعقب انتقل الحكم سلمياً إلى أسرة جديدة⁽²⁾.

وبعد انتهاء حكم الأسرة الخامسة انتقل الحكم إلى الأسرة السادسة حيث بدأت هذه الأسرة بعهد الملك "تتي" (2345-2323 ق.م) الذي شيد هرمه في "سقارة" وقامت مقابر حاشيته حوله⁽³⁾، ودامت فترة حكمه بالتقريب 12 عاماً تبعاً لـ "مانيتون"، ويذكر "مانيتون" أنه قتل بواسطة حراسة، أما سياسة "تتي" الداخلية والخارجية قليلة، ويبدو أنه تابع سياسة أسلافه في الاهتمام بتنشيط التبادل التجاري مع المدن الفينيقية. أما خليفة "تتي" هو الملك "أوسركارع" (2323-2321 ق.م) الذي لم يدرج اسمه في قائمة "سقارة" ومانيتون اعتبره مغتصباً للعرش، ووجود اسم "رع" في ثنايا اسمه قد يشير إلى صراع محتمل بين كهنة الشمس وكهنة الإله "بتاح" في منف وربما سقط "تتي" نتيجة الصراع⁽⁴⁾. يختلف ملوك الأسرة السادسة عن ملوك الأسرة الخامسة سواء في طول فترة حكمهم أو في أهميتهم، وقد حكموا فترة تقرب من القرن والنصف إلا أن فترة حكم "بيي الثاني" تتحكم في ثلث هذه الفترة، وملوك هذه الأسرة، تشومنكارع وأوسركارع "بيي الأول" (2321-2287 ق.م) و"مرنع الأول" وبيي الثاني (2278-2184 ق.م) و"مرنع الثاني" (2287-2278 ق.م) و"الملكة نيوتوكريس"⁽⁵⁾.

ولقد ترك لنا أحد ملوك هذه الأسرة وهو "بيي الأول" الكثير من الآثار، وتعد فترة حكمه من أشهر فترات التاريخ المصري القديم وقد قام بأعمال التشييد والبناء، كما جدد في مختلف المجالات الأخرى حتى أننا نجد اسمه في كل مكان، إلا أن خلفائه لم يرتقوا إلى مستواه فابنه الأكبر مات شاباً

(1) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 87.

(2) ناصر الأنصاري، المرجع السابق، ص 22-23.

(3) عبد العزيز صالح وآخرون، المرجع السابق، ص 93.

(4) محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص 128-129.

(5) سمير أديب، (تاريخ وحضارة مصر القديمة)، المرجع السابق، ص 94.

وابنه الآخر "ببي الثاني" الذي تولى السلطة لم يكن على مستوى الأحداث ممّا أدى إلى انهاء (السلطة المركزية) وتنتهي هذه الأسرة التي حققت الكثير للحضارة المصرية.

وبعد انتهاء الأسرة السادسة تبدأ مرحلة مظلمة في تاريخ البلاد تتميز بتضاؤل السلطة الملكية بل وانهارها، ولا يمكن تعليل هذا الانهيار بثورة أو انقلاب أو غزو خارجي وإنما كان السبب الرئيسي هو إهمال القدرة العسكرية للبلاد واتجاه الملوك إلى تبني سياسة مسالمة للغاية، وهناك أسباب أخرى منها ازدياد شوكة حكم الأقاليم وبخاصة في النصف الأخير من عهد الأسرة السادسة وسعيهم إلى الانفصال عن نفوذ الفرعون، والتقليل من الصلات التي تربطهم به، والاستقلال بحكم أقاليمهم وكانت النتيجة الحتمية هي انهيار السلطة المركزية وانقسام البلاد إلى أقاليم منفصلة ومستقلة تماماً عن سلطة ونفوذ الحكومة "منف" وانتشار الفوضى والتفكك والإغلال⁽¹⁾.

بانتهاء الأسرة السادسة تبدأ مرحلة الاضمحلال للدولة المصرية بعد الازدهار الذي نعمت به في عصر الدولة القديمة فقد انتقلت زمام الحكم من الفرعون، وساد الانحلال السياسي والتفكك الاجتماعي، ورجعت البلاد إلى ما كانت عليه قبل عهد الوحدة من انقسام وتفرق، وقامت المعارك التي تشبه الحرب الأهلية أو محاولات الاستقلال، وهي فترة أزمات مختلفة عموماً منها الانقلابات ومنها محاولات الاغتيال والتسميم، وقد صارع ملوك هذه الأسرة الموت بشراسة، كما يظهر من أماكن الجروح على موميائهم والمعلومات المتوفرة عن هذا العصر المضطرب قليلة ومحدودة وتغطي هذه الفترة الأسر من السابعة إلى العاشرة⁽²⁾.

1/ الأسرتان السابعة والثامنة (2181-2160 ق.م):

وتنسب الأسرتان السابعة والثامنة إلى "منف" والمعلومات عن الأسرة السابقة ضئيلة، بل تكاد تكون منعدمة، حتى إن "مانيتون" يذكر بها سبعين ملكاً حكموا سبعين يوماً، وفسرها آخرون بأنهم حكموا سبعين عاماً، ولا تعرف أسماءهم أو أعمالهم كذلك فإن الأسرة الثامنة تتضارب حولها الآراء

⁽¹⁾ ناصر الأنصاري، المرجع السابق، ص 23-24.

⁽²⁾ ناصر الأنصاري، المرجع السابق، ص 27.

بين رأي مانيتون و"بردية تورين"⁽¹⁾ وقائمتي "سقارة" و"أبيدوس" خاصة من حيث عدد ملوكها ومدة حكمهم⁽²⁾.

ويعتبر عصر هاتين الأسرتين من أشد عصو مصر القديمة ظلاماً ومن أكثرها غموضاً وأسوأها حالاً، فقد ساد الفقر والبؤس وتتابعت المحن والكوارث واحتل الأمن فنهبت الأهرامات وسرقت القبور وحطمت المباني الدينية وشوهت الأماكن التراثية، وقد انقسمت البلاد إلى أقاليم إقطاعية يخضع كل منها لسلطة حاكم طامع في توسع مدى ما يحكم على حساب الآخرين وقد أشار "مانيتون" إلى هذه الفوضى حيث ذكر أن سبعة ملوكاً قد حكموا أيام الأسرة السابعة في مدى سبعة يوماً، وأشار كذلك إلى تتابع ثمانية عشرة ملكاً حكم أيام الأسرة الثامنة لمدة 146 عاماً دون أن يذكر أسمائهم، كما ذكر أن الأسرتين السابعة والثامنة قد حكمتا من العاصمة القديمة "منف"⁽³⁾. ولعل من أهم المظاهر التي تميزت بها تلك الفترة هي ضعف الملكية ضعفاً مهد لانحيارها وأدى إلى ضآلة مقدار الضرائب التي كانت تصل إلى الخزانة الملكية⁽⁴⁾.

II / الأسرتان التاسعة والعاشر (2160-2040 ق.م):

أدت هذه الأحوال بالبلاد إلى الفوضى والتفكك، وفي خلال تلك الفوضى ظهرت في مدينة "أهناسيا" (بالقرب من بني سويف الآن) أسرة قوية، بزعامة أمير يدعى "خيتي" اغتصب العرش من الأسرة الثامنة المنفية الضعيفة، وظل ملوك الأسرتين التاسعة والعاشر إلا هنا سنين طويلة مدة حكمهم يعتبرون أنفسهم خلفاء مباشرين لملوك "منف" وبالتالي فهم الملوك الشرعيون وحاولوا نشر سلطانتهم على أقاليم الوادي كله من "أهناسيا" التي ظلت مقراً لعرشهم طوال حكم الأسرتين⁽⁵⁾.

فأما الأسرة التاسعة فقد استطاع "خيتي" حاكم الأقاليم العشرين من أقاليم الصعيد في ظل الاضطرابات التي سادت الفترة الانتقالية الأولى من أن يدعي الحكم لنفسه، ويؤسس الأسرة التاسعة

(1) بردية تورين: كتبت على ورق البردي وبالخط الهيروغليفي، كما أنها تمتاز بأنها أوردت بعض الأسماء الملكية التي لم تذكرها الحوليات الأخرى وعمدت إلى التبويب التاريخي حين قسمت الملوك إلى مجموعات وتبدأ القائمة بما يسمى (الملوك الآلهة) وأنصاف الآلهة وملوك الأسرة الأولى بدءاً من "منا" وحتى عهد "رمسيس الثاني". أنظر: محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص 17.

(2) عبد العزيز صالح وآخرون، المرجع السابق، ص 104-105.

(3) ناصر الأنصاري، المرجع السابق، ص 27.

(4) عبد العزيز صالح وآخرون، المرجع السابق، ص 104-105.

(5) ناصر الأنصاري، المرجع السابق، ص 28.

الفرعونية ويتخذ من عاصمة إقليمية وهي مدينة "أهناسيا" عند مدخل الفيوم عاصمة له ولقبه الأثريون باسم الملك "خيتي الأول" وقد اتخذ لنفسه الألقاب "حبيب قلب الأرضين" و"حبيب قلب رع" ويبدو أنه كان معروفاً في جميع أنحاء البلاد إذ وجد اسمه منقوشاً على إناء من البرونز.

وقد خلف "خيتي" "نفركارع" و"خيت الثاني" لكنهم لم يستطيعوا أن يحافظوا على مصر بسبب مجاهدة حكام الأقاليم لهم وعلى وجه الخصوص حكام طيبة الأقوياء على أية حال يبدو أن الحالة في الأسرة التاسعة لم تتغير كثيراً عما كانت عليه الأسرة الثامنة فهم ملوك ضعافاً ليس لهم أي نفوذ في الأقاليم وحكام أقوياء يحكمون شبه مستقلين.

لا نعرف الأسباب التي دعت "مانيتون" إلى إنهاء الأسرة التاسعة، وأن يبدأ أسرة جديدة هي العاشرة على الرغم أن جميع ملوك الأسرتين ينتمون أغلب الظن إلى عائلة واحدة وهذا ما أكدته كاتب "بردية تورين" إذ ذكر أن ملوك "أهناسيا" يمثلون أسرة واحدة تتكون من ثمانية عشر ملكاً أما عن الملوك الذين حكموا في هذه الفترة فهم: الملك "مرى حتحور" والملك "نفركارع" الذي ذكر في بردية تورين، ولعل أشهر ملوك هذه الأسرة هو الملك "خيتي واحك اع"، أما فيما يخص انهيار الاسم تان، فقد تمكن حكام طيبة الأقوياء مثل: "انتف الأول والثاني والثالث" على التوالي يرون أحقيتهم في العرش بدلاً من حكام أهناسيا وأسر الأسر الحادية عشر⁽¹⁾.

III-الدولة الوسطى(1700-2050 ق.م):

1- الأسرة الحادية عشر والثانية عشر والثالثة عشر (2133-1633 ق.م):

وتتند فترة حكم ما يسمى بالدولة الوسطى من 2050 إلى 1700 ق.م حكمت البلاد خلالها الأسرة الحادية عشر والثانية عشر والثالثة عشر، نتيجة اتحاد مصر الجديدة واستقرار الأوضاع السياسية في البلاد يحدث تطور وتقدم في الأوضاع الاقتصادية، خاصة التجارة الداخلية والخارجية فالعلاقات البحرية بين مصر وجزيرة كريت، التي كانت في السابق مؤقتة وقليلة أصبحت نشيطة ودائمة⁽²⁾.

وبدأ حكم هذه الدولة بالأسرة الحادية عشر ومقرها "طيبة"⁽¹⁾ العاصمة، وبدأت في إعادة توحيد البلاد وتأمين الحدود وبناء المعابد على سبيل المثال المعبد الذي تم بناؤه في الدير البحري في

⁽¹⁾ سمير أديب، (تاريخ وحضارة مصر القديمة)، المرجع السابق، ص 109-110.

⁽²⁾ نعيم فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر، سوريا، (د-ت) ص 80-81.

عصر الملك "منتوحتب الثالث"، ثم يأتي بعد ذلك "منتوحتب الرابع" (1985-1992 ق.م) الذي نظم بعثة كبيرة قوامها عشرة آلاف رجل لحفر مجموعة من الآبار في وادي الحمامات، وبانتهاء حكم هذا الملك انتهى حكم أسرة ملوك "منتوحتب" وبعد صراعات متعددة دامت عدة سنوات، استولى على الحكم وزير الملك "منتوحتب الرابع" ويدعى "أمنمحات" الذي بدأ حكمه مع بداية الأسرة الثانية عشر كان "أمنمحات" الأول رجل دولة فائق القدرات استطاع خلال فترة حكمه التي استمرت قرابة ثلاثين عاماً أن يعيد مصر إلى سابق عهدها، ولكي يتمكن من إحكام قبضته على البلاد، نقل العاصمة إلى مدينة "اتياوى" وتعني "قابضة الأرضين" في شمال مصر.

كما أمر ببناء التحصينات على حدود السويس أطلق عليه "حائط الأمير" وبمواصلة أعمال التحصينات على الحدود تمكن خلفاء "أمنمحات" من احتلال سوريا على يد الملك "سنسورت الثاني" وشمال البلاد النوبة على يد الملك "سنسورت الثالث" (1878-1839 ق م)، وبعد الاستقرار الذي شهدته مصر

انتقلت مجدداً إلى الاضطرابات الشديدة حيث حكمت الأسرة الثالثة عشر جنوب مصر، وفي الوقت نفسه حكمت الأسرة الرابعة عشر شمال البلاد⁽²⁾.

وقد اعتبر "مانيتون" الأسرة الثالثة عشر "أسرة طيبة" وقد اتخذ كثير من ملوك هذه الأسرة الأسماء الشخصية لملوك الأسرتين الحادية عشر والثانية عشر مثل "انتق" و "سنوسرت"، ويبدو من خلال دراسة آثار هؤلاء الملوك أن الأسرة الثالثة عشر ترجع إلى الأسرة الثانية عشر، كما أنها حاولت فيما يتعلق بأسلوب حكم البلاد أن تسير على نفس الطريقة التي انتهجتها الأسر السابقة⁽³⁾. أما بالنسبة للأسرة الرابعة عشر فقد حكمت هي الأخرى الدلتا واتخذت مدينة "سخا"⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ طيبة : هي "ثيبة" عاصمة الصعيد في أيام الفراعنة وذات المائة باب وفي بعض مكانها الآن مدينة الأقصر. أنظر: أحمد زكي

بك، قاموس الجغرافية القديمة، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، 1899، ص56.

⁽²⁾ كارلو يوردا، التاريخ المصور لمصر القديمة، تر: إيتسام محمد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2009، ص37-40.

⁽³⁾ عبد العزيز صالح وآخرون، المرجع السابق، ص152.

⁽⁴⁾ سخا: مدينة مصرية بالوجه البحري تسمى عند اليونان اكسويس، وعند قدماء المصريين خسو. أنظر: أحمد زكي بك، المرجع السابق، ص47.

ويبدو أن الشرعية كانت لهذه الأسرة⁽¹⁾ وقد استطاعت هذه الأسرة الانفراد بالحكم بيد أنها لم تمد سلطانها على أي أرض خارج منطقتها التي كانت تحكمها أسرة طيبة أو أمراء محليون، ولم تعثر على آثار لهذه الأسرة كما تناقشت بردية تورين التي ذكرت أنها قد ضمت واحد وعشرون ملكاً مع تقدير مانيتون لعدد ملوكها بستة وسبعون ملكاً.

2- الأسرة الخامسة عشر والسادسة عشر (1603-1567 ق.م):

أما فيما يخص الأسرتان الخامسة عشر والسادسة عشر فقد تزامنت مع عصر الهكسوس، الذي غزا بلاد الدلتا، فكانت النتيجة الحتمية لاضطراب البلاد وتفككها، حيث آلت السلطة غلى الهكسوس وقد ظل حكمهم قائماً طوال أيام الأسرتين الخامسة عشر والسادسة عشر ودخلوا في صراع مع أمراء طيبة في الأسرة السابعة عشر.

هذه الأخيرة أخذت على عاتقها تحرير البلاد من السيطرة والاحتلال الأجنبي، حيث استمدوا من الحركة التي كانت تموج بها الجماهير كلها وقوداً للثورة ضد الغزو الأجنبي، وكان اجتماع هذه العوامل هو الأثر الفعال في انهيار مملكة الهكسوس على يد الأسرة السابعة عشر⁽²⁾، والملوك الرئيسيين لهذه الأسرة هم "سقن رع" ثم ابنه "كاموس" و"أحمس" وقد حكم الأول منهما مدة قصيرة على عكس "أحمس" الذي حكم مدة أطول حتى أحرز النصر النهائي.

IV/ عصر الدولة الحديثة (1575-1404 ق.م):

تمثل الدولة الحديثة قمة المجد للفراعنة وتبدأ هذه الفترة بتمام طرد الهكسوس من أرض مصر، وهي تمتد خلال الأسرتين الثامنة عشر والتاسعة عشر، ثم تبدأ مرحلة انتقال ثالث في الأسرة العشرين، ويمكن القول أن الأسرتان الثامنة عشر والتاسعة عشر قد أعادت مصر إلى المجد الذي شهدته في الأسرة الثانية عشر في عهد الدولة الوسطى⁽³⁾.

1- الأسرة الثامنة عشر (1567-1320 ق.م):

تضم هذه الأسرة عند مانيتون خمسة عشر ملكاً حكموا حوالي 230 سنة، من (1580 إلى

⁽¹⁾ ناصر الأنصاري، المرجع السابق، ص 34.

⁽²⁾ عبد العزيز صالح وآخرون، المرجع السابق، ص 157-156.

⁽³⁾ ناصر الأنصاري، المرجع السابق، ص 36-37.

1350 ق.م)، تبدأ ب"أحمس الأول" من فراعنة مصر، قام هذا الأخير بإجلاء الهكسوس عن مصر وطاردتهم حتى بلاد كنعان.⁽¹⁾، وأمن حدود البلاد، فاحتل بلاد النوبة عند الحدود الجنوبية، وأخضع بلاد الشام وفلسطين شرقاً، وفرض عليهم الجزية.⁽²⁾

أما خليفته فكان ابنه "تحتمس الثاني" لكنه أصيب بمرض وهو ما زال في ريعان شبابه، فتنازل عن العرش لـ "حتشبسوت"⁽³⁾ التي تولت حكم البلاد بعد ذلك باسم ابنه الشاب "تحتمس الثالث" الوريث الشرعي.⁽⁴⁾

خلال حكم الأسرة الثامنة عشر أصبحت طيبة عاصمة لمصر كلها لأنها موطن الأسرة الحاكمة الجديدة لـ "آتون" كما أطلق على "طيبة" أسماء عديدة، فقد عرفت باسم "داست" بمعنى الصولجان وهو اسم معروف منذ عصر الدولة القديمة، وأطلق عليها كذلك اسم ثالث هو "أنيت" أي المدينة وذلك لشهرتها، واعتبارها عاصمة البلاد كلها وأحياناً يقال لها "مدينة آمون" و"المدينة المنتصرة" أو "واست المنتصرة"⁽⁵⁾.

2- الأسرة التاسعة عشر (1320-1200 ق.م):

لقد كان الجيش المصري يمثل القوة الضاربة بفضل إعداد وتنظيم كبار الملوك العسكريين في عهد الأسرة الثامنة عشر، وأصبحت قوة لا يستهان بها في الأسرة التاسعة عشر، فلقد لعب الجيش دوراً كبيراً في الحياة السياسية في مصر من الخارج والداخل وهذا الدور الذي لعبه الجيش أتاح "لحور محب" فرصة للاحتلال السلطة، ولمَّا أصبح هذا الأخير مسناً ولم يترك ذرية من الأبناء لخلافته، فقد ذكر في رجل عسكري مثله لكي يتولى العرش من بعده وهو من "بخت رع" وكان أصلاً من "تانيس" في شرق الدلتا وربما كان من ذوي القربى للملك المتوفي، وكان من الضباط المقربين إلى حور محب وكان يحمل لقب وزير، وقد عرف كذلك باسم "رمسيس الأول" (1295-1294 ق.م).⁽⁶⁾

(1) هنري س عبّودي، معجم الحضارات السامية، ط2، دار جروس برس، لبنان، 1991، ص49-50.

(2) ناصر الأنصاري، المرجع السابق، ص37.

(3) حتشبسوت (1471-1456 ق.م): هي ابنة الملك تحتمس الأول والملكة احمس، وزوجة الملك تحتمس الثاني، لم تنجب منه سوى ابنة واحدة هي نفرو رع. أنظر محمد عبد الرحمان السيد، المرجع السابق، ص30.

(4) كارلوريوردا، المرجع السابق، ص45.

(5) رمضان السيد، تاريخ مصر القديمة، ج2، هيئة الآثار المصرية، مصر (د.ت)، ص41-42.

(6) رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، ج2، دار نهضة الشروق، مصر، 2001، ص212.

وقد اعتبره مانيتون مؤسساً لأسرة جديدة من ثمانية ملوك حكموا حوالي 145 سنة من 1350 إلى 1205 ق.م، ولم تكن فترة حكم "رمسيس الأول" ذات تميزاً نظراً لقصر مدتها، أما ابنه "سيتي الأول" فقد أمضى الجزء الأول من حكمه في استعادة المستعمرات المصرية في آسيا، فاتجه نحو سوريا ووصل إلى بلاد الحثيين⁽¹⁾ في آسيا الصغرى ثم مملكتي بابل وآشور على الفرات الأعلى، كما أحكم السيطرة على بلاد النوبة والجنوب عموماً، ثم التفت "سيتي الأول" لإجراء بعض الأعمال الداخلية في هدوء.

تولى العرش بعد "سيتي الأول" ابنه "رمسيس الثاني" (1279-1213) ق م وكان عمره حوالي 30 سنة، ثم خلفه "مرن بتاح" عرفت مصر خلال فترة حكمه الاستقرار والأمن وبعد وفاة هذا الأخير خلفه ملوكاً ضعافاً منهم "سيتي الثاني" و"آمون مسي" و"رمسيس سيتاح" حيث سادت الفوضى في البلاد خلال حكمهم⁽²⁾.

3- الأسرة العشرون (1200-1085 ق.م):

لانعرف كيف انتقل الحكم من الأسرة التاسعة عشر إلى الأسرة العشرون، ولكن تأسيس الأسرة العشرون كان على يد "سست نخت" وكان أحد كبار الضباط في هذه الفترة، وقد حكم فترة تصل إلى عامين توفي بعدها ودفن في مقبرة "تاوسرت" تولى بعده الحكم ابنه "رمسيس الثالث" (1184-1153 ق.م) الذي يعتبر آخر فراعنة مصر، واتخذ "رمسيس الثالث" من "رمسيس الثاني" مثلاً حيث قام بتشييد المعابد كما أطلق على اسمه أولاده تيمناً به⁽³⁾.

خلف "رمسيس الثالث" تسعة ملوك يحملون اسم رمسيس ولكنهم لا يشبهون رمسيس الثاني والثالث، فقد كانوا ألعوبة في إحدى رجال البلاد وكهنة "آمون"، ومع حكم "رمسيس الثاني عشر" آخر فراعنة الأسرة كان الانهيار الداخلي قد استشرى من جميع الوجوه، وحتى من الناحية الخارجية فقد شعرت الدولة الخاضعة لحالة البلاد المتردية مما أدى بها إلى محاولات الاستقلال بل والتفكير في غزو مصر⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ الحثيين: من الشعوب الهندوآرية نزحوا إلى الأناضول حوالي نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد. أنظر محمد عبد الرحمان السيد،

المرجع السابق، ص 277.

⁽²⁾ ناصر الأنصاري، المرجع السابق، ص 40-41.

⁽³⁾ سمير أديب، المرجع السابق، ص 213.

⁽⁴⁾ ناصر الأنصاري، المرجع السابق، ص 41.

4- الأسرة الحادية والعشرون (1085-945 ق.م):

بدأت هذه الأسرة ولايتها لمصر بعد الأسرة العشرين، وانفصلت مصر إلى عاصمتين "طيبة" في الجنوب بزعماء "كهان آمون"، واعتمدوا في تدعيم سلطتهم على مكانة طيبة العريقة وعلى سلطان "آمون" أو "تانيس" في الشمال، كانت تسيطر على مصر الوسطى والدلتا وحكم فيها "سمندس" واعتبر ملوكها أنفسهم الورثة الشرعيين للأسرة العشرين بحكم قرابتهم أو مصاهرتهم لها، وتتكون هذه الأسرة طبقاً لرأي "مانيتون" من سعة ملوك من "تانيس" التي لم تكن موطناً أصلياً لهم، وقد جاء ذكر خمسة منهم على الآثار أما السادس فيجد العلماء صعوبة في توحيد مع نظيره على الآثار⁽¹⁾.

5- الأسرة الثانية والعشرون (945-818 ق.م):

أسست هذه الأسرة على يد "شيشنق" (945-924 ق.م)، الذي تمكن من التربع على العرش سنة 945 ق.م، وقد خلفه ملوك لیبیون أقوياء منهم "أوسركن الأول" و"تاكلوث الأول" و"أسركن الثاني" و"شيشنق الثاني" والثالث والرابع واتخذت لنفسها قرب "بوابسطة"⁽²⁾ عاصمة لها، وكانت هذه الأسرة من الأسر الحاكمة القوية وتركت بعض الآثار خاصة الموجودة في عاصمتهم في بوابسطة ويؤثر عن مؤسس هذه الأسرة أنه قاد حملة وصل بها إلى القدس، لكن نفوذ خلفائه ضعفت تدريجياً وانقسمت البلاد إلى إمارات⁽³⁾.

6- الأسرة الثالثة والعشرون (718-715 ق.م):

يذكر مانيتون أن مؤسس الأسرة الثالثة والعشرون هو الملك "يوبااستس" الذي استطاع في هذه الفترة من الضعف والتفكك وازدياد نفوذ حكام الأقاليم والتنازع بين الحكام وقيام الثورات من أن ينتزع لنفسه العرش، ويؤسس أسرة جديدة مركزها "تل بسطة"، بل واستطاع أن يفرض نفوذه على غرب الدلتا وذلك في الوقت الذي يحكم فيه "شيشنق" في "تانيس" وبهذا أصبحت الدلتا تحكم من حاكمين أحدهما في "تانيس" والآخر في "تل بسطة"، وساد الضعف والانهيار والتنازع على السلطة

⁽¹⁾ عبد العزيز صالح وآخرون، المرجع السابق، ص 305.

⁽²⁾ بوابسطة: عاصمة الاقليم الثامن عشر من اقاليم مصر السفلى واسمها القديم بر-باستت أي مقر الالهة باست. أنظر محمد عبد

الرحمان السيد، المرجع السابق، ص 292.

⁽³⁾ ناصر الأنصاري، المرجع السابق، ص 45.

بين قادة الجيش وكبار الكهنة في هذه الفترة حتى تمكن بيتٌ ثالث في الشمال في "صان حجر" في غرب الدلتا من أن يؤسس الأسرة الرابعة والعشرون⁽¹⁾.

7- الأسرة الرابعة والعشرون (727-664 ق.م):

قام بتأسيس هذه الأسرة أمير مدينة "صان الحجر" "نق تحت" وامتاز هذا الملك بالقوة والطموح، ولهذا أراد أن يكون لقبه الذي وضعه أمام اسمه حقيقة واقعة، وصمم على إعادة وحدة البلاد إلى ما كانت عليه وأن تكون مصر بأسرها مملكة واحدة وتيسر لـ "نق تحت" إخضاع جميع الأقاليم غربي الدلتا، ووجه عنايته بعد ذلك إلى مصر الوسطى، لكن الأمور كانت تسير سير آخر إذ أن الحالة السيئة التي دفعت بـ "نق تحت" إلى إنقاذ مصر دفعت أيضا غيره للتقدم لإنقاذها، ولم يكن هذا المنقذ إلا الملك "بيعنخي" (752-721 ق.م) الذي تقدم من شمالي السودان لتخليص البلاد ممّا وصلت إليه من فوضى، وهكذا قدر لجيوش "بيعنخي" أن تصطدم بجيوش "نق تحت" ثم بجيوش ابنه "باك أن رنق" وانتهى الصراع لصالح جيوش الجنوب وتأسيس أسرة جديدة هي الخامسة والعشرون⁽²⁾.

تمكن ملوك النوبة من الاستيلاء على مصر كلها حوالي 720 ق.م وأسس "بيعنخي"⁽³⁾ الأسرة الخامسة والعشرون الأثيوبية، لكن سلطة هذه الأسرة كانت ضعيفة في الدلتا، لأن عدداً من المرء المحلين الأقوياء كانوا ينازعونها السلطة ولم تحكم هذه الأسرة إلا بضع عشر سنوات.

ولما عاد "بيعنخي" إلى "نباتا" تولى أمر البلاد "شباكا" الذي حاول الآشوريين في عهده غزو مصر وكانوا بقيادة "سنحريب" ممّا اضطره إلى دفع الجزية، أما ابنه وخليفة "شباكا" (716-702 ق.م) فقد رفض دفع الجزية، وحارب الآشوريين ولكنه انهزم أمامهم، ف وقعت البلاد في قبضتهم، ولم ينقذها إلاّ الوباء الذي حل بالجيش الآشوري واضطره للانسحاب، وتولى الحكم بعد وفاة "شباكا" "طهرقا" (290-664 ق.م) الذي حدث في عهده بعض الرخاء إلى أن عاد الآشوريين بقيادة

⁽¹⁾ سمير أديب، (تاريخ وحضارة مصر القديمة)، المرجع السابق، ص 233-234.

⁽²⁾ عبد العزيز صالح وآخرون، المرجع السابق، ص 317-318.

⁽³⁾ بعنخي: تولى الحكم في مملكة "نباتا" بعد وفاة أبيه "كاتشا"، قام بحملة عسكرية على مصر، وفرض حمايته على الآشوريين وأهناسيا. أنظر: سمير أديب، (موسوعة الحضارة المصرية القديمة)، المرجع السابق، ص 237.

"أسرحدون" (681-669 ق.م)، وهو ملك آشوري تولى الحكم بعد مقتل والده سنحريب ، اشتاح منطقة سوريا والساحل الفينيقي وقام بحملة على مصر 673 ق م. ⁽¹⁾ لغزو البلاد، وفي حوالي سنة 662 ق م تمكن خليفة "طهرقا" "تان واقي آمون" من دفع الآشوريين حتى الدلتا ⁽²⁾.

8- الأسرة السادسة والعشرون (664-525 ق.م):

يطلق على هذه الأسرة "العصر الصاوي" نسبة إلى مدينة "صان الحجر" التي كانت العاصمة في غرب الدلتا وهي المدينة التي عرفت لدى الإغريق باسم "سايس" استطاع أول ملوكها "بسماتيك الأول" ابن الملك "نخاو" أن يتولى عرش مصر، وذلك بعد اختفاء الملك النوبي "تانوت آمون" من على مسرح الأحداث، وطبقاً لرواية مانيتون فالملك "بسماتيك" هو رابع ملوك هذه الأسرة التي استمرت طبقاً لرواية أفريكانوس 150 سنة وقد قام "بسماتيك الأول" (664-613 ق.م) بحمل راية الجهاد ضد الآشوريين الذين استولوا على الحكم بعد هزيمتهم لـ "تانوت آمون" وبدأ في جمع الجيوش لطرد الغزاة من أرض مصر بعد تحالفه مع "جيجيس" ملك ليديا في آسيا الصغرى وتمكن في الأخير من هزيمة الآشوريين ⁽³⁾.

أما عن الملوك الذين خلفوا "بسماتيك" هم "نخاو الثاني" (610-595 ق.م) ، حاول هذا الملك عن طريق الوحدات العسكرية التي أرسلها إلى الفرات أن يمنع البابليين دون جدوى من الاجهاد على آشور والتوغل إلى سوريا. ⁽⁴⁾ وعرف بحروبه خاصة ضد البابليين، حيث تقابل مع جيش "ننوخد نصر" عند "قرقميش" ⁽⁵⁾، ولقى هناك هزيمة ثقيلة، ثم خلفه في الحكم "بسماتيك الثاني" ثم تلاه "أريس" ثم جاء بعده الملك "أمازيس" وهو أحد قواد "ايريس" ⁽⁶⁾.

يبدأ مانيتون الأسرة السابعة والعشرين بالملك الفارسي "قمبيز" (525-522 ق م) ملك فارسي من السلالة الأخمينية ابن قورش الثاني وخليفته ومعه سبعة ملوك من الفرس، وتستمر فترة احتلالهم لمصر

⁽¹⁾ محمد بن عبد الرحمان السيد، المرجع السابق، ص 269.

⁽²⁾ ناصر الأنصاري، المرجع السابق، ص 47.

⁽³⁾ سمير أديب، (موسوعة الحضارة المصرية القديمة)، المرجع السابق، ص 244.

⁽⁴⁾ محمد عبد الرحمان السيد، المرجع السابق، ص 344.

⁽⁵⁾ قرقميش: مدينة تقع على الفرات في نقطة العبور من سوريا إلى بلاد الرافدين وتعرف اليوم باسم جرابلس. أنظر محمد عبد الرحمان السيد، المرجع السابق، ص 333.

⁽⁶⁾ ناصر الأنصاري، المرجع السابق، ص 48.

في رأيه 124 عاماً وأربعة شهور، اما يوسيبوس فيذكر لهم 120 عاماً وأربعة شهور، وتؤكد الأبحاث أن هذه الأسرة لم تستمر أكثر من 121 عاماً⁽¹⁾.

و"قمبيز"⁽²⁾ هو ابن "قورش" مؤسس دولة الفرس هذا الأخير بعد أن بسط سلطانه على المدينتين في إيران وبلاد الشام وفينيقيا وفلسطين، بدأ يفكر في التوجه إلى مصر ولكنه توفي عام 529 ق.م وتولى العرش بعده في دولة فارس ابنه "قمبيز" الذي حقق حلم والده واستطاع أن يدخل مصر عام 525 ق.م، حيث عبر الفرس الصحراء واتخذوا مواقعهم بالقرب من مواقع "الجيش المصري" واستعدوا للاشتباك معهم، وبعد كفاح مرير وسقوط أعداد كبيرة من القتلى والجرحى من الطرفين، مني المصريون بجرمة منكرة⁽³⁾.

ورغم ذلك كله فإنه لم يكتسب ود المصريين الذين تعودوا على الحرية وكانوا متشوقين إليه، وقاموا في سبيل ذلك بالعديد من الثورات قضي على أغلبها، إلى أن تمكنوا حوالي سنة 404 ق.م، أثناء الحكم "دار الثاني" (424-405 ق.م) من أن يشبوا على الطوق ويكونوا إلى جانب الأسرة السابعة والعشرين الفارسية⁽⁴⁾.

(1) سمير أديب، (تاريخ وحضارة مصر القديمة) المرجع السابق، ص 249-250.

(2) هنري س عبودي، المرجع السابق، ص 292.

(3) هيروdot، التاريخ، تر: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 2001، ص 221.

(4) ناصر الأنصاري، المرجع السابق، ص 49.

I / عصر حضارة الوركاء (3200) ق م:

يعتبر عصر حضارة "الوركاء" هو العصر الحضاري التالي لعصر حضارة العبيد⁽¹⁾ في العراق القديم، وتنسب هذه الحضارة إلى موقع الوركاء وتمثل هذه الحضارة في العديد من المواقع الأثرية في جنوب العراق وانتشرت في قسمها الشمالي، وقد اختلف العلماء فيما يتعلق بأصحاب تلك الحضارة، هل هم ينتمون إلى العنصر السومري أم إلى العنصر السامي، ويعتبر عصر حضارة الوركاء من أهم المراحل الحضارية في مرحلة التكوين الحضاري في تاريخ العراق، ويمكن تقسيم حضارة الوركاء إلى قسمين متميزين أحدهما مبكر ويدخل في نطاق ما قبل التاريخ والآخر يطلق عليه تسمية عصر ما قبل الكتابة، وانتشر الإنتاج الحضاري للمرحلة الأولى في شمال العراق ومن المظاهر المميزة في هذه المرحلة المبكرة من حضارة الوركاء التفوق في إنتاج المصنوعات المعدنية أما عن المرحلة الثانية من عصر حضارة الوركاء فلعل من أهم آثارها الفكرية التوصل إلى ظاهرة التعبير بالرموز التي أدت إلى اختراع الكتابة، ومن أهم الآثار المادية لحضارة الوركاء العمارة الدينية⁽²⁾.

II / مرحلة دول المدن السومرية ولساللتها:

لقد بدأت دول المدن والسلالات السومرية تقريبا (3000 ق.م) وقد استمرت مرحلة دول المدن ما بين خمسة أو أربعة قرون وتمتاز بالجانب السياسي والحضاري والثقافي، وكان سبب التطور الحضاري لسومر هي التجارة والهجرات السلمية الحضارية، حيث امتازت سومر بالسلام والأمن، ولم تكن الحروب الجماعية معروفة في عصرها إلاّ بعد أن فاجأها أقوام أخرى غير متحضرة بلغة الحرب والموت⁽³⁾.

وامتاز النظام السياسي السومري في هذه المرحلة بما يسمى بدولة المدينة حيث تحتفظ كل مدينة باستقلالها السياسي وبحاكمها ومعابدها وآلهتها رغم أن هذه المدن جميعها تسودها معتقدات دينية وعلاقات سياسية واجتماعية وحضارية، وقد ظهرت في هذه المرحلة حضارة المدن السومرية التي كان

⁽¹⁾ العبيد: نسبة إلى موقع تل العبيد الذي يقع إلى الغرب من أور بحوالي ستة كيلومترات، أولى حضارات القسم الجنوبي لأرض النهرين، أنظر: محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص74.

⁽²⁾ أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص240، 242.

⁽³⁾ خزعل الماجدي، متون سومر، الاهلية للنشر والتوزيع، لبنان، 1998، ص43.

لها الفضل في تصعيد المنجزات الحضارية السومرية وسنذكر أهم سلالات المدن السومرية وأهم حكامها:

1/ سلالة كيش الأربعة :

الأولى عدد ملوكها ثلاثة وعشرون ملك ، والثانية عدد ملوكها ثمانية منهم (داداسك) و(ماماكال)، والثالثة حكمتها ملكة واحدة هي (كوبابا)، أما الرابعة فقد حكمها سبعة ملوك أولهم "بوزرسين"⁽¹⁾. وقد قدمت لنا كيش صورة عن التنظيم السياسي المبكر لحكومة المدينة السومرية والذي يشهد مرحلة هامة في تاريخ الفكر الإنساني، فهو يستمد بتواجد التفكير الديمقراطي في بداية العصر التاريخي، وانتخاب الحاكم الذي يرأس حكومة المدينة بناء على قرارات الجمعية العمومية، التي كانت تضم جميع الرجال الأحرار في المدينة، وكان من حقها إصدار القرارات الهامة، خاصة قرارات الحروب وأن تمنح السلطة العليا في البلاد لواحد من أعضائها⁽²⁾.

2/ سلالات أوروك الثلاثة:

الأولى عدد ملوكها اثنا عشر ملكاً وقد ظهر منهم أبطال سومر الذين ذكرتهم ملاحمها المعروفة وهم (أنمركار) و(لوكال يتدا) و(كلكامش)، أما الثانية فعدد ملوكها ثلاثة أما الثالثة فقد حكمها ملك واحد هو (لوكال زاكيزي) الذي حاول أن ينشئ دولة سومرية موحدة لكل المدن السومرية.

3/ سلالتا أور:

كانت المقبرة الملكية في أور تشير إلى سلالة ملكية مبكرة في أور، ولكن أور حكمت في هذه المرحلة من قبل سلالتين الأولى حكم فيها خمسة ملوك أولهم "ميسانيدا" وآخرهم "بالولو".

4/ سلالة لكش:

ظهرت في لكش سلالتان الأولى في هذه المرحلة وقد انصرفت للعمران والبناء وأهم ملوكها أورناناشة و"أنتميتا" والملك "أورو-كاجينا" الذي كان آخر ملوكها⁽³⁾، أما السلالة الثانية فقد

(1) خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص43.

(2) محمد بيومي مهران، (المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم)، المرجع السابق، ص192.

(3) خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص44.

عاصرت أيام الجوتيين، وقد حقق حكامها الوطنيون كيانا مستقلا لمدينتهم، ولم ترد هذه السلالة هي قائمة الملوك السومريين⁽¹⁾.

5/ سلالة أوما:

حكم فيها ستة ملوك أولهم (أيابورز)⁽²⁾، وقعت في صراع مع "لجش" حيث قام ملك لجش بحملة على مدينة أوما على أيام ملكها "أوش" فأوقع بها الهزيمة وذلك بسبب الخلاف على الحدود بينهما، غير أن "أوما" في عهد ملكها "لوكال زاكيزي" نجحت في القيام بهجوم ناطق على "لجش" فأضرمت النار فيها، ونهبت ثروتها واستولت على معابدها وحطمت أصنامها⁽³⁾.

6/ سلالة أكشاك: حكم فيها (5) ملوك أولهم (أونزي)

7/ سلالة أوان: حكم فيها (3) ملوك.

8/ سلالة أدب: حكم فيها ملك واحد هو (لوكال أني مندو)

9/ سلالة ماري: حكم فيها ست ملوك منهم لوكال تارزي.

10/ سلالة حمازي: حكم فيها ملك واحد هو آدانيش⁽⁴⁾.

11/ نيبور: تعتبر من أهم المراكز الثقافية السومرية في بلاد ما بين النهرين، ورغم أنها لم تكن أبدا مقر لأية سلطة سياسية، فقد كانت أكبر مدينة مقدسة عند القوم⁽⁵⁾.

لقد انهار حكم "لوكال زاكيزي" وهو الملك الوحيد في أسرة الوركاء الثالثة على يد "سرجون الأكدي" (2334-2289 ق.م): مؤسس السلالة الأكادية تولى العرش بعد انتصاره على هذا الأخير، واستولى على أوروك ولجش، ووصل إلى الخليج العربي⁽⁶⁾ وكان هذا الواقع أمراً خطيراً فهو يعني انتقال السلطة من السومريين إلى الساميين، وكذلك نهاية عصر الأسرات المبكر لحكومات المدن في تاريخ

(1) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 190.

(2) خزعزل الماجدي، المرجع السابق، ص 44.

(3) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 191.

(4) خزعزل الماجدي، المرجع السابق، ص 44.

(5) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 191.

(6) هنري س عبودي، المرجع السابق، ص 470-471.

العراق القديم، وبداية عصر جديد يتغير فيه النظام السياسي للبلاد، حيث تنتقل من حكومة المدينة إلى حكومة الدولة، الأمر الذي تم على يد الساميين، دون سواهم من سكان العراق القديم⁽¹⁾.
لقد كانت سومر امبراطورية تميزت بمنجزاتها الحضارية، لكنها لم تدم طويلا فقد آلت إلى السقوط فيما بعد، ويرجع هذا السقوط إلى عدة أسباب منها: الاقتصادية والسياسية والعسكرية حيث كانت هذه الأسباب مباشرة وعنيفة، فقد كان من الواضح أن قلب سومر في جنوب العراق أصبح بين فكّين شرسين الأول من الشرق حيث هجم العلاميين على المدن السومرية وخربوها، والثاني أتى من الغرب حيث هجم الأموريين على سومر وأمسكوا الحكم في مدّهم ثم استطاعوا طرد العلاميين من وادي الرافدين⁽²⁾.

III / الأكاديون:

لقد وفد الأكاديون إلى بلاد النهرين من الغرب والشمال الغربي وهم من القبائل السامية، وتشير جميع المعطيات إلى أن الموطن الأصلي لتلك القبائل السامية كان في الجزيرة العربية ثم انتقلوا إلى بلاد النهرين، وقد أطلق على الموجة السامية اسم الأكاديون أما لغتهم القديمة من العبرية والعربية القديمة فقد أصبحت تسمى اللغة الأكادية⁽³⁾.

والأكاديون أصلهم بدوي تسربوا نحو بلاد الرافدين ببطء شديد ولا توحى النصوص القديمة أن السومريين قد قاوموا دخولهم إلى البلاد واستأثروا من وجودهم وفي أيّام سلطة "سرجون" عرف القسم الأوسط من بلاد الرافدين من نيبور في الشمال حتى خط "هيت" بما فيها منطقة بالي ولفترة طويلة من الزمن باسم بلاد "أكاد"، ولهذا السبب فإن اسم "أكادي" قد أطلق على كل الشعوب غير السومرية في بلاد الرافدين، ومن أكثر الفوارق الحضارية وضوحا بين هاتين المجموعتين العرقيتين الفارق

(1) محمد بيومي مهران، تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1990، ص114.

(2) خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص54-55.

(3) نعيم فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر، سوريا، (د.ت)، ص18-19.

اللغوي، ولقد حافظ الأكاديون على طريقة الكلام السامية أما من أجل الكتابة فقد اضطروا لإتباع طريقة النسخ المسمارية القديمة وبشكل بدائي⁽¹⁾.

إن ظفر "لوكال زاكيزي" السومري بالحكم لم يكن طويل الأمد فرغم أنه فرض سيطرته من البحر المنخفض (الخليج العربي) حتى البحر المرتفع (المتوسط) فإن إمبراطورية هذه كانت سريعة الزوال على يد الأكاديين، وإن نضاله من أجل الاستيلاء على القسم الشمالي من بلاد النهرين الذي تقطنه قبائل سامية كان فوق طاقته فبعد أن استطاع اجتياح مدينة "كيش"، قام أمير من أمرائها يدعى سرجون باستلام السلطة (في نهاية القرن الرابع والعشرين ق.م)، وأسس عاصمة جديدة هي مدينة "أكاد" التي سميت باسمها دول الأكاديينوراح يجهز الجيوش للقضاء على السومريين⁽²⁾، فاستولى على المدن السومرية مثل: (أوروك وأورو ولجش) وأسّرت المدن الأخرى التي أفرغتها انتصاراتهم إلى إعلان الطاعة والولاء له، واستمر سرجون في زحفه حتى وصل إلى ساحل البحر الأسفل، وبذلك فقد خضعت لسرجون كافة المدن السومرية والمناطق الشمالية وأصبح السيد المطلق في البلاد⁽³⁾ ومارس سياسة خارجية نشيطة، فقام بحملات إلى البلاد الجبلية المجاورة الغنية بالمواد الخام كالمعادن والحجارة والخشب وأخضع "سرجون الأكادي" أيضاً مدينة ماري على الفرات الأوسط، ومن هناك عبر إلى سوريا ثم إلى الجبال الفضية (سلسلة جبال الطوروس)⁽⁴⁾.

وقد بلغت الدولة الأكادية قمة ازدهارها في عهد "نارام سين" (2254-2218 ق.م) وهو حفيد سرجون الأكادي امتدت سلطته من الخليج الفارسي إلى آسيا الصغرى. ⁽⁵⁾ كما قام بحملات ناجحة إلى بلاد عيلام (شرقي بلاد النهرين) وكذلك ضد القبائل اللوبية في جبال زاغروس ووصل إلى هضابأرمينيا، أما في الجنوب فقد قام الملوك الأكاديون بحملات إلى ماغان وميلونا في الجزيرة العربية

⁽¹⁾ سيتون لوبد، آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، تر: محمد طلب، دار دمشق، سوريا، 1992، ص 190-191.

⁽²⁾ نعيم فرح، المرجع السابق، ص 25-26.

⁽³⁾ حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 16-17.

⁽⁴⁾ حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 16-17.

⁽⁵⁾ محمد عبد الرحمان السيد، المرجع السابق، ص 323.

وأقاموا علاقات غير مباشرة مع مصر، حيث وصلت أواني رخامية شفافة من مصر إلى أكاد عن طريق ماغان.

لقد استمرت الدولة الأكادية حوالي 120 سنة، وبعدها تعرضت عام (2200 ق.م) إلى تدمير على يد محاربين جبليين أتو من الشرق هم الجوتيين، وقد كانوا قليلوا العدد نسبياً، وما زالوا يحافظون إلى حد كبير على التنظيمات العشائرية القبلية، ولكي يؤمنوا بسيطرتهم على البلاد أكثر منهم تطوراً في النواحي الاجتماعية والاقتصادية، اضطروا أن يلجأوا إلى عقد اتفاقيات مع بعض مدنها، فأصبحت مدينة "لجش" السومرية مركزاً رئيسياً لهم مما ساعدهم ومكنهم في السيطرة على "أكاد"⁽¹⁾ حوالي (2169 ق.م)⁽²⁾.

بعد أن استقرت الأمور للشعب "الجوتي" وبعد أن دانت له كل مدن الجنوب فضل أهله البقاء في الشمال تاركين المدن السومرية لأصحابها نظير أداء الجزية والتعهد بإتباع سياسة المهادنة والاستسلام، أما الغزاة فقد استمروا في حكم البلاد متبعين الأسس الحضارية السومرية والأكادية مستعملين اللغة السومرية في رسائلهم وكتاباتهم⁽³⁾.

ومهما يكن فإن نشوء الدولة الأكادية وقيامها وامتدادها وتوسعها، إنما يمثل مرحلة حاسمة جديدة في تاريخ المنطقة تركت بصماتها على المراحل التي تلتها، فقد خلفت بعد حكم استمر حوالي 120 سنة واقعاً جديداً في الجغرافية السياسية للمشرق العربي القديم يتمثل في مملكة كبرى ودولة إمبراطورية لها قوة عسكرية وتحكمها سلطة شرعية تكونت لها تقاليداً ومراسيمها⁽⁴⁾.

IV / عصر الأحياء السومري:

بعد سقوط أسرة أور الثالثة، قام العموريين في ميزوبوناميا السفلى، وأسسوا فيها مملكتين بعاصمتين هما (إيزنولارسا)، ثمة وثيقة تلفت الانتباه من السلطة الملكية في (إيزن) هي القانون الذي

⁽¹⁾ نعيم فرح، المرجع السابق، ص 27-28

⁽²⁾ محمد حرب فرزات وعيد مرعي، دول وحضارات الشرق العربي القديم، ط2، دار طلاس، سوريا، 1994، ص 116.

⁽³⁾ إبراهيم رزقافة وآخرون، المرجع السابق، ص 291.

⁽⁴⁾ محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 116.

كتبه لبييتشار باللغة السومرية، وإلى الشمال قليلاً وجدت دولة (ماري واششوناك) كانت هذه الدول تتحارب من أجل السيطرة في ميزوبوتامي السفلى والوسطى ولم يحقق أحد مشاريعه، وحد جزء واسع من البلاد على يد عامل بابل، المملكة الصغيرة العمورية التي أسست في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، أفاد ملوك بابل من موقع هذه المدينة المناسب، المبنية عند نقطة اقتراب دجلة والفرات من بعضها عند تقاطع الطرق التجارية للشرق الأدنى، فضلاً عن دعم الوضع السياسي لملوك بابل، كانت (ماري واششوناك) قد ضعفتا جراء الصراع ضد آشور التي كانت سيطرتها تتسع، بينما كانت (لارسا) تواجه ضغط العلاميين حتى احتلتها إحدى أسرهم⁽¹⁾، وينقسم العهد البابلي القديم إلى ثلاث سلالات:

1/ سلالة لارسا : حكمت في الفترة (1763-2025 ق.م) وتعرف آثارها اليوم باسم (سنكرة) وكانت هذه السلالة قد باعت قرارها للعلاميين.

2/ سلالة إيسن : حكمت في الفترة (1794-2017 ق.م) ويعتبر "لبت شتار" خامس ملوك سلالة إيسن حكم في الفترة (1223-1934 ق.م)

3/ سلالة بابل الأولى: بلغ عدد ملوكها (11) ملكاً حكموا ثلاث قرون في حدود (1894-1595 ق.م)⁽²⁾، وقد أسس هذه السلالة شعب من الساميين البدو، وهو شعب يعود أصله إلى بلاد أمورو وهي منطقة على حدود سوريا التي تدعى بلاد الغرب، والساميون هم رعاة وأصحاب قوافل، تسلل هؤلاء إلى بلاد الرافدين وأسسوا دولة اتخذت من بابل عاصمة لها، وقد تزعم هؤلاء القوم الملك "سموايوم"⁽³⁾.

برزت مدينة بابل في مقدمة المسرح السياسي نحو نهاية الألف الثالثة، فقد تجاوزت وصاية (أور) عليها وكونت إمارة مستقلة في القرن العشرين واتسمت بالبدء بسياسة حكيمة فقد ارتقى "حمورابي" هو سادس ملوك السلالة العمورية في بابل، كان دبلوماسياً أكثر منه محارباً، كان يفضل اللجوء إلى الحنكة السياسية في توسعته وأيام حكمه تقدمت الفنون بشكل ملحوظ وكذلك الأدب والعلوم،

⁽¹⁾ دياكوف وكوفاليف، المرجع السابق، ص 95.

⁽²⁾ عبد الحكيم الذنون، التشريعات البابلية، دار علاء الدين، سورية، 1992، ص 30-32.

⁽³⁾ مارغريت روتن، تاريخ بابل، تر: زينة عازار وميشال أبي فاضل، منشورات عويدات، لبنان، 1984، ص 29.

وضع شريعته التي تحتوي على 282 مادة،⁽¹⁾ تولى العرش عام 1792 ق.م وكانت مملكته على ما يبدو، قد بلغت درجة من الأهمية.

ويعود الفضل في اتساعها إلى مهارات لأنه وبشكل متتابع أدمج كل من قواته مع الأخرى بالوقت المناسب، ومنذ عام 1786 ق.م اقتلع من أقوى منافسيه في ذلك الوقت المدعو "رين-سينأرسا" منطقتي (سين وأوروك) ثم قاد حملات عدة واقعة فيما وراء دجلة كان محتلوها دوماً في اضطراب، وفي عام 1776 ق.م حكم بمساعدة "ماري" تجمعات مستعادة لصالح قوات دجلة وهم: الآشوريين (مدن ديالا) والعلاميين، وفي عام 1761 ق.م واستولى على "لارسا" وأعلن نفسه ملكاً على سومر وأكاد وقد اكتملت توسعاته عام 1753 ق.م.⁽²⁾

وبالرغم من الشهرة التي تمتعت بها بابل القديمة، إلا أنها لم تكن أكثر صموداً ومناعة من سابقتها لأنه بالحقيقة، منذ انتهاء حكم "حمورابي" عام 1750 ق.م، تراكمت الأخطار من عدم الاستقرار الداخلي والأزمات الاجتماعية ضف إلى ذلك التهديدات القائمة من زاغروس، والتغلغل السلمي للكاشيين وفي عام 1740 ق.م تمكن (سمسوايلونا) من احتواء هجوم شنه هؤلاء الكاشيين المنحدرين من أعالي جبالهم، وقد تكرر هذا الهجوم مرة ثانية رغم احتوائه عام 1708 ق.م تحت أمرة "إيشهو" وتفككت المملكة خلال القرن السابع عشر قبل الميلاد، بعد أن ازداد ضغط وسطوة الكاشيين أكثر فأكثر⁽³⁾، وأسس الملك غانداش فيها أسرة، وأخضع خلفاؤه القسم الجنوبي من البلاد دامت سيطرة الكاشيين حتى عام 1165 ق.م.⁽⁴⁾

لقد حدث ابتداء من عام 1750 ق.م أن أخذت جموع متتالية من رجال القبائل الجبلية التي تسكن الجبال الشاخنة الواقعة شرقي نهر دجلة، في الهبوط إلى السهول ومهاجمة بلاد بابل، واستطاعوا

⁽¹⁾ هنري س عبودي، المرجع السابق، ص 364-365.

⁽²⁾ جان كلود مارغرون، السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية، تر: سالم سليمان العيسى، دار علاء، سورية، 1999، ص 78.

⁽³⁾ جان كلود مارغرون، المرجع السابق، ص 91.

⁽⁴⁾ دياكوف وكوفاليف، المرجع السابق، ص 105.

في آخر الأمر أن يكونوا دولة قوية عرفت في التاريخ باسم "بابل الثالثة" دام حكمها ما يقارب ستة قرون (1750-1170 ق.م)⁽¹⁾. فرضه الكاشيين"، ويرون أن بلادهم تقع شرق بابل وشمالها الشرقي، ومن ثم فإنه يبدو أنه عند نزولهم للسفهل خلال الألف الثانية قبل الميلاد، إنما كانوا يتقدمون من سلسلة زاجروس الوسطى والمعروفة الآن باسم "لويستارن" إلى الجنوب من "همدان" مباشرة⁽²⁾.

اقتبس "الكاشيون" الحضارة البابلية، وساروا في حكمهم على أسسها، ولم يدخلوا جديداً في حضارة البلاد اللهم إلا إدخالهم تربية الخيول، وصناعة الحديد، وعندما استقرت لهم الأمور، أخذوا يوسعون نطاق نفوذهم نحو الجنوب، ولم يلبثوا أن هاجموا دولة البحر وهزموها، وبذلك استطاعوا لفترة قصيرة من أن يفاخروا بتأسيس دولة شملت كل بلاد العراق القديم⁽³⁾.

أما عن نهاية الحكم الكاشي فقد هاجم العلاميين بابل وقضوا على الكاشيين ودمروا بابل، إلا أن الاحتلال العيلاني لبابل لم يدم طويلاً إذا انتقل الحكم فيها إلى أمراء أيسن، واستطاع ملكها "نبوخذ نصر الأول" من مهاجمة عيلام وتحقيق نصراً عليها إلا أنه كان غير حاسماً.

تواصلت على حكم بابل الأسرة البابلية الخامسة ومؤسسها "كاش"، والأسرة البابلية السادسة ومؤسسها "أرامي" والأسرة السابعة ومؤسسة "عيلامي"، وبتولي الأسرة الثامنة العرش انحدرت بابل إلى الهاوية ولم يصبح لها نفوذ خارج حدودها وظل الأمر كذلك إلى أن استولى الآشوريين على بابل وذلك خلال العصر الآشوري الحديث⁽⁴⁾، وتمثل هذه الدولة مملكة بلاد البحر، والتي أخذت تناوئ الدولة البابلية الأولى لفترة طويلة، وامتد نفوذها شمالاً حتى شمل إيسين بزعامة "إيلوموايلو" مؤسس هذه المملكة والتي تعرف كذلك باسم "مملكة بابل الثانية"⁽⁵⁾.

وقد أعلن "إيلوما اليو" الذي أعلن انفصاله عن دولة "حمو رابي" مكونا دولة في الأجزاء التي استقل بها، وفشل ابن حمورابي وخليفته، "سمسو إيلونا" في إرجاعه إلى حظيرة الدولة وهناك نص يرجع

(1) إبراهيم رزقانة وآخرون، المرجع السابق، ص 316.

(2) محمد بيومي مهران، (تاريخ العراق القديم)، المرجع السابق، ص 298.

(3) إبراهيم رزقانة وآخرون، المرجع السابق، ص 316.

(4) أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 309.

(5) حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 54.

إلى العام العشرين من حكم "سمسو إيلونا" يفاخر فيه بأنه أخضع إقليم، الأمر الذي يدل على حملة أرسلت إلى هناك وربما كان النصر حليفه فيها، وأيا ما كان الأمر فلقد نجح "إيلوما ايلو" في أن يقود ثورة ناجحة، استطاع بعدها أن يقيم دولة مستقلة في هذه الأرجاء، هي دولة القطر البحري، وأن يضم إليها "لارسا" فضلا عن "نيبور" العاصمة الدينية القديمة.

وجاء بعد ذلك "أني إيل نيب" ثم "دمقي إيلوشو" وفي عهده حاول الملك البابلي "دمي ديتانا" استرجاع الجنوب، فقام بحملة استعاد فيها مدينتي "نفر" و"إيسين" بعد أن دمر أسوار المدينة الأخيرة غير أن "دمقي إيلوشو" سرعان ما استعادها مرة ثانية، ولا نعرف شيئا بعد هذه المرحلة عن سير الأمور في القصر البحري وكما أن انهيار هذه المملكة إنما قد تم في العصر الكاشي وبيدوا أن "أياجيل" لم يكن أول حاكم التقى بالكاشيين، وقد نسبت إليه الحوليات مهاجمة عيلام ومع ذلك فقد استمر الكاشيون يوجهون هجماتهم إلى مملكة بلاد البحر، حتى قضوا على استغلالها أيام ملكهم "أجوم"⁽¹⁾.

V / الآشوريين (200-612) ق م: ويقسم بعض المؤرخين تاريخ آشور إلى ثلاث عهود:

وقد عرف الآشوريين نسبة إلى عاصمتهم آشور والتي أخذت اسمها من اسم إلهها المحلي وهو إله الآشوريين القومي وكبير ألهتهم⁽²⁾، وبدأت آشور في الظهور منذ عهد بعيد، ولكن لم تبرز كدولة 1- العهد الآشوري القديم (2000-1500 ق.م): دخلت آشور في عهد ملكها "إيلوشوما" في حرب مع الملك البابلي "سوم أبوم" دون انتصار حاسم لأي منهما، ويعود الفضل في ازدهار آشور واتساعها إلى الملك "شمشأدد" (1817-1782 ق.م) هو ملك آشور، استولى على عرش آشور وجعل منها دولة قوية، ويعد هذا الملك من مؤسسي الدولة الآشورية.⁽³⁾ والذي نجح في إخضاع "ماري" وبسط سيطرته على طرق القوافل التجارية المؤدية إلى سواحل البحر المتوسط وآسيا الصغرى، ولكن ما لبثت آشور بنفوذ الدولة البابلية في عهد "حمو رابي" ولم تسترد كيانها إلا بسقوط الدولة البابلية الأولى.

⁽¹⁾ محمد بيومي مهران، (تاريخ العراق القديم)، المرجع السابق، ص 293-294.

⁽²⁾ بلخير بقة، أثر ديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، الجزائر، 2009، ص 25.

⁽³⁾ هنري س عبودي، المرجع السابق، ص 537.

2- العهد الآشوري الوسيط (1500-1000 ق.م): فقد استطاع الملك "آشور أو باليط" من تخليص آشور من النفوذ الميثاني، بل وأسقط الدولة الميثانية منتهزا الأوضاع الدولية المتمثلة في الصراع القائم بين مصر وبلاد الحثيين.

ومن أشهر ملوك هذا العصر كذلك "تجلات بلاصر" الذي بلغت توسعته جنوب شرقي آسيا الصغرى ولبنان وشمال سوريا، وعرفت آشور في هذا العصر ازدهاراً واضحاً وتجلّى في مجالات العمارة والفن والتشريع⁽¹⁾.

3- العهد الآشوري الحديث (911-612 ق.م): وفي هذا العهد استطاع ملوك آشور القضاء على الدويلات الآرامية في سوريا وأزالوا خطرهما وعرفت الدولة أوج توسع لها في عهد الملك "آشورن اصربال الثاني" ومن بعد "شلمنصر الثالث" الذي قاد حملة عسكرية ناجحة لإخضاع معظم المناطق الجبلية خاصة في سوريا وفلسطين وبابل⁽²⁾ وشهدت آشور في أواخر عهده حرباً أهلية دامت ست سنوات بعد ثورة قام بها ابنه عليه، ولم ينقذها من هذه الفوضى إلا الملك "تجلات بلانصر" الذي يعد المؤسس الحقيقي للإمبراطورية الآشورية الثانية، فقام بتنظيم مقاطعات المملكة وصغر مساحتها بهدف تقليص قوة الحكام الذين تزايد نفوذهم، وأشهر خلفائه "آشور بانيبال" الذي احتل عيلام ودمر عاصمتها "سوسة" ودخلت البلاد في أواخر عهده في حرب أهلية بين ولديه استغلها "نبوبلاصر" أول ملوك الدولة الكلدانية وتمكن بالتحالف مع الميديين من القضاء على الدولة الآشورية⁽³⁾.

الدولة البابلية الحديثة (الكلدانيين) (612-539 ق.م):

ينتسب الكلدانيون إلى قبيلة "كلدى" الآرامية التي خرجت من شبه الجزيرة العربية حوالي 1500 ق.م واستقروا في سوريا وفي حوالي عام 700 ق.منزحوا إلى جنوب العراق، ثم اتجهوا شمالاً ونزلوا بالقرب من مدينة "بابل" التي كانت تخضع في ذلك الوقت للآشوريين، وقام الكلدانيون بزعماء "نبوبلاصر" بالاستيلاء على بابل عام 625 ق.م بعد تحالفهم مع الميديين، وتقاسموا الإمبراطورية الآشورية معهم فصارت حصّة الكلدانيين وسط العراق حتى جنوبه، وقد انتهز الملك "نبوبلاصر" وابنه

⁽¹⁾ سليم سعيدي، القانون والأحوال الشخصية في كل من العراق ومصر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2010، ص 38-39.

⁽²⁾ بلخير بقة، المرجع السابق، ص 27.

⁽³⁾ سليم سعيدي، المرجع السابق، ص 40.

"نبوخذ نصر الثاني" انشغال الميديين بالغزو والتوسع إلى الغرب فنشأ في زمن قصير ما يعرف بالإمبراطورية البابلية الأخيرة⁽¹⁾.

ويعد "نبوخذ نصر الثاني" من الملوك الكلدانيين الذي حكم زهاء أربعين عاما، قام هذا الأخير بإنزال عقابه الصارم بالدولة المصرية التي أرادت أن تشق عليه عصا الطاعة، وأجلى اليهود ودمر عاصمتهم (أورشليم) على النحو الذي تحفظه التوراة⁽²⁾، ومع استقرار أحوال البلاد وجه "نبوخذ نصر الثاني" جهوده نحو العمران، فشيّد الكثير من العمائر ورمم المعابد وأنشأ الحدائق المعلقة لتزيين بابل.

وبعد وفاة "نبوخذ نصر الثاني" تولى العرش في بابل ملوك ضعاف، لم يهتمو بشؤون الإمبراطورية⁽³⁾، مما أّهى إلى وقوع بابل في يد "قورش" الأخميني هذا الأخير سمح لليهود بعد احتلاله بابل بالعودة إلى فلسطين⁽⁴⁾.

(1) بلخير بقة، المرجع السابق، ص 28-29.

(2) عبد الرزاق الحسني، العراق قديما وحديثا، ط3، دار العرفان، لبنان، 1958، ص 15.

(3) حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 98.

(4) بلخير بقة، المرجع السابق، ص 29.

I/علاقة بلاد الرافدين بمصر القديمة:

1-بداية العلاقات بين مصر القديمة وبلاد الرافدينخلال العصر السومري:

يتجه بعض المؤرخين الى الاعتقاد بأنه قد وجد صلات تجارية وحضارية بين مصر وجنوب العراق القديم خلال العصر السومري والفترة السابقة له، وتوضح تلك الصلات على نماذج الصناعة الرافدية في بعض المواقع المصرية ويتمثل ذلك في مجموعة من الأواني الفخارية ذات الصنابير المائلة والأواني ذات الآذان المثلثة عثر عليها في موقعي مستجدة والبداري في مصر، وتنتمي تلك الأواني الى عصر حضارة جمدة نصر في بلاد الرافدين.⁽¹⁾

وتقول الدراسات التي تناولت كيفية احتكاك مصر القديمة ببلاد الرافدين ما زالت تمثل مشكلة لعدد من العلماء، فالبعض يرى أن سبب هذا الاحتكاك كان عن طريق البحر الأحمر في فترة ما قبل الأسرات، وأرجع بعض هؤلاء العلماء ذلك الاحتكاك إلى وجود غزو أو هجرات، وآخرون اعتبروها نتيجة لتسرب بعض أصحاب الحرف من بلاد الرافدين إلى مصر، ومجموعة أخرى قاموا بدراسة أماكن الاتصال بين العراقيين والمصريين وأكدوا على أن هذا الاتصال بين الحضارتين كان من خلال علاقات مباشرة بينهما في أقاليم جلب البخور في الصومال والجزيرة العربية.

وهناك رأي آخر وهو المرجح بأن الاحتكاك بين مصر وبلاد الرافدين، كان عن طريق علاقات غير مباشرة بين البلدين وذلك من خلال بعض الوسطاء الحرفيين الذين نقلوا بعض التأثيرات التي وجدت في بعض الأماكن بالقرب من نهاية طرق الصحراء، حيث ارتبطت مصر بالبحر الأحمر وهذه الأماكن كانت في نفس الوقت المبكر مركزا لعبادة الآلهة المصرية "حتحور" و "حورس" والتي نسبت إلى بلاد "بونت" وكمثال سكين "جبل العركي" التي وجدت بالقرب من "حمو" مركز العبادة المبكر للآلهة "حتحور"، وسفن بلاد الرافدين كانت مرسومة على الأرجح على صخور "وادي الحمامات" بالقرب من "قفط" مركز عبادة الإله "مين" وهي ظاهرة واضحة في المقبرة الملكية "بنقادة" مركز العبادة المبكر للإله "حورس"⁽²⁾.

⁽¹⁾ أحمد أمين سليم، (دراسات في تاريخ الشرق الأدنى)، المرجع السابق، ص 41-42.

⁽²⁾ محمد عبد الرحمان السيد، المرجع السابق، ص 24-25.

الفصل الثالث: العلاقات بين بلاد الرافدين ومصر الفرعونية

وعند تفسير التأثيرات الحضارية لبلاد الرافدين المنتمجة إلى عصر "جمدة نصر" ⁽¹⁾ في الحضارة المصرية والتي تؤرخ بعصر ما قبل الأسرات الأخير، فإنه من المحتمل أن المصريين قد اتصلوا ببلاد النهرين في الجنوب على الطريق الواصل بين البحر الأحمر والخليج الفارسي عبر جنوب شبه الجزيرة العربية، وتعتز هذه الفرضية حجتان الأولى أنه لا يوجد شبه لذلك في العصور التاريخية، والثانية أنه لم يعثر في بلاد الرافدين على أي دليل يشير إلى وجود اتصال مع مصر، ولذلك ربما كان مكان الالتقاء في إقليم ما، على الطريق الجنوبي بعيداً عن "سومر" أي في الأقاليم التي كان يجلب منها البخور وهي شبه الجزيرة العربية أو الساحل الصومالي.

وهناك رأي آخر وهو إمكانية قيام تجارة بحرية بين بلاد الرافدين ومصر القديمة من الخليج الفارسي إلى ميناء مصري على شاطئ البحر الأحمر منذ فترة "نقادة الثانية" (3400 ق.م)، حيث وصلت البضائع إلى مصر العليا عن طريق "وادي الحمامات" وكان شعب مصر في فترة "نقادة الأولى" محدود، وكانت هناك علامات غامضة مع الخليج الفارسي والساحل الجنوبي لبلاد العرب، وكان جنوب شبه الجزيرة العربية موطن المهاجرين الذين جاؤوا منه إلى مصر، وكانوا يمثلون همزة وصل بين بلاد الرافدين ومصر وذلك لكونهم ملاّحين مهرة، وكان البحر الأحمر منذ أقدم العصور هو الطريق إلى العالم القديم، ومنذ عصر ما قبل الأسرات المصرية كانت تشق أمواجه سفن ترتفع مقدمتها ومؤخرتها، لم تكن معروفة في مصر، ولكنها كانت معروفة في بلاد الرافدين ⁽²⁾.

كذلك من أسباب اتصال مصر القديمة ببلاد الرافدين، هو قيام الصلات التجارية بين مصر وسوريا وكنعان منذ عصور ما قبل الأسرات خلال فترة "الجزرة" وأن هذه البلاد كانت على علاقة بين بلاد الرافدين ومصر وذلك لما عثر عليه في مصر من خشب الأرز منذ فترة "البداري" وكذلك الجرار "الكنعانية" التي تؤرخ بفترة "جزرة" والتي لها ما يماثلها في فخار "الوركاء" في بلاد الرافدين ورأس شمرا في سوريا ومجموعة الأختام الاسطوانية من نموذج "جمدة نصر" ووصول هذه التأثيرات من بلاد

⁽¹⁾ جمدة نصر: موقع في بلاد النهرين بالقرب من كيش عثر فيها على اواني فخارية بنقوش سوداء وبيضاء وحمراء وأسطوانات وأطلال

قصر ولوحات عليها كتابات قديمة. أنظر محمد عبد الرحمن السيد، المرجع السابق، ص 304.

⁽²⁾ نفسه صص 27-29.

الرافدين إلى مصر يرجع أن الاتصالات كانت مناسبة بين مصر وسوريا إلى مصر من الساحل الفينيقي⁽¹⁾.

مما سبق نستنتج أن بداية الاحتكاك الحضاري بين بلاد الرافدين ومصر القديمة، كان عن طريق التجارة والتي كانت سببا رئيسيا ومباشرا في التقاء الحضارتين.

2-علاقة مصر بالدولة الأكادية والبابلية القديمة:

استمرت المظاهر الحضارية التي نقلتها مصر عن بلاد الرافدين في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد حتى بداية الألف الثالث قبل الميلاد، بالظهور جنبا إلى جنب مع المظاهر الحضارية بوادي النيل، ثم أخذت بالتناقص والاضمحلال حتى توقفت في عهد الأسرة الثالثة، واستقرت أسس الحضارة المصرية راسخة ظاهرة للعيان مع بداية الدولة القديمة في مصر⁽²⁾، وإذا كان البحث اعتمد في دراسة العلاقات بين الحضارتين في تلك المرحلة على وجود عدد من التأثيرات الحضارية والفنية والمعمارية فذلك لأن المدونات المكتوبة لم تكن معروفة في البلدين في مرحلة عصور ما قبل التاريخ.

وعند الانتقال إلى العصور التاريخية فإن المعلومات المتوفرة عن العلاقات بين مصر في عهد الدولة القديمة وبلاد الرافدين في عهد الدولة "الأكادية" تكون قليلة جداً ، وكل ما يمكن قوله في هذا الصدد أن الحملات العسكرية في زمن "سرجون الأكدي" وحفيده "نرام سين" لم تكن لغرض الاستيلاء على أرض جديدة بقدر ما كانت لحماية المصالح التجارية وتأمين طرق المواصلات للدولة "الأكادية" وأدت إلى زيادة الاتصال بين حضارة "وادي النيل" وحضارة "بلاد الرافدين ومع أن حملات "سرجون الأكدي" لم تمتد إلى حدود مصر إلا أن وصول تلك الحملات، كما تروي نصوصه إلى "بلاد الشام" و"كريت" و"قبرص" وأقطار أخرى مثل "آسيا الصغرى" أدى إلى إعادة فتح الطريق أمام الاتصال بين بلاد الرافدين و"وادي النيل".

وفضلاً عن ذلك فإن الحضارتين التقتا في منطقة جنوب شرق الجزيرة العربية حيث امتدت حملات "سرجون الأكدي" إليها كما جاء في نصوصه المرتبطة بالبحر الأسفل والخليج الفارسي، عندما تذكر "إقليم بحان" و"دلمون" و"ملوخا" أو غيرها من أقاليم الساحل الشرقي للخليج الفارسي،

(1) محمد عبد الرحمن السيد، المرجع السابق ، ص38.

(2) نفسه، ص67.

وكانت تجارة مصر بدورها قد ازدهرت فامتدت إلى هذه المناطق لتحصل منها على البخور والتوابل والروائح العطرية التي كانت ضرورية لممارسة الطقوس الدينية منذ عصور ما قبل التاريخ.

وفي مصر عهد الدولة الوسطى وخاصة الأسرة الثانية عشر، حيث أخرج مؤسس الأسرة الثانية عشر "منمحات الأول" مصر من عزلتها بعد فترة طويلة من الاضطرابات وفي ظل حكم هذه الأسرة لم تجد مصر فقط الاستقرار الداخلي، بل نجدها أيضاً تتألق في الخارج فقد زادت الصلة التجارية بين "مصر" والشاطئ "الفينيقي"، وكان ملوك مدينة "جبيل" وثيقوا الصلة بملوك وادي النيل، ولم تقتصر علاقة مصر "بفينيقيا" فقط بل أيضاً كانت وثيقة الصلة "بكنعان" وجزء كبير من "سوريا"⁽¹⁾.

وفي الفترة من (1778-1992 ق.م) تقريباً كانت مصر تعتبر أحد أمم ثقافة وقوة في بلاد الشرق القديم، لأن بلاد النهرين في ذلك الوقت كانت تجتاز فترة ضعف في تاريخها، ولم يخرج منها إلا الملك حمورابي تقريباً ولذلك تغلغل النفوذ الثقافي المصري في "كنعان" و"سوريا" واستفاد المصريون من تلك الظروف في تقوية صلاتهم التجارية بتلك البلاد⁽²⁾.

وكانت العلاقات بين مصر والعراق في هذا العهد سلمية حيث التقت الحضارتين عند مدن "الساحل الفينيقي" التي كانت عاملاً مهماً في الاتصال الثقافي والتجاري في العالم القديم، وعندما كان الشرق الأدنى ينعم بالاستقرار في زمن سلالة "حمورابي" في "بلاد الرافدين" وفي عصر الدولة الوسطى في "مصر" تدفقت كتل بشرية همجية وهي تندفع ببيئة موجات إلى الشرق الأدنى مركز العالم المتمدن فأحدثت فيه الفوضى والخراب، واستوطنت فيه أقوام جديدة "كالحيتيين" الذين سكنوا الأناضول وشمال سوريا و"الكاشيين" الذين حكموا في العراق بعد سلالة "حمورابي" و"الهيكسوس" الذين قضوا على الدولة الوسطى، وظهر بعد ذلك "الآشوريين" في شمال العراق بجوار "الميتانيين"⁽³⁾.

3- علاقة الكاشيين بمصر القديمة:

ربطت بعض ملوك الكاشيين علاقة ودية مع فراعنة مصر، حيث كشفت مجموعة من الرسائل المتبادلة بين الملوك الكاشيين مع فراعنة مصر في عهد "أمنحوتب الثالث" (1992-1985 ق.م) و"أمنحوتب الرابع" ويتعلق مضمونها بالمصاهرة بين البيتين المالكيين وتبادل الهدايا وإرسال الذهب في

(1) محمد عبد الرحمان السيد، المرجع السابق، ص 69-70.

(2) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ط2، دار الأنجلو المصرية، مصر، 983، ص 227-228.

(3) محمد بن عبد الرحمان السيد، المرجع السابق، ص 71.

مصر إلى الملوك الكاشيين ولتوضيح طبيعة العلاقات بين البيتين هناك نموذجين من تلك الرسائل المتبادلة .

أ- الرسالة الأولى:

من "كادشمان أنليل الأول" إلى "أمنحوتب الثالث": "أنا بخير وكذلك بلدي عسى أن تكون أنت وبيتك ونساؤك وأولادك وقوادك وأحصنتك وعرياتك في أحسن حال، أما فيما يتعلق بالطلب الذي كتبته والمتعلق بزواجك من ابنتي ذات النسل الملكي... وأرسل لك جياذ حسنة ومائة وعشرون" (يشكل عملة بابلية) كهدية لك، وحجر لازورد هدية لأختي التي أرسلتها لك كزوجة"⁽¹⁾. وتشير هذه الرسالة الى العلاقات الطيبة بين الملوك الكاشيين وملوك مصر.

ب- / الرسالة الثانية:

من "بورابورياش"⁽²⁾ إلى "أمنحوتب الرابع"، هكذا يتكلم أخوك بورابورياش... أنا بخير عساك وبيتك وزوجاتك وأبنائك وبلادك وقوادك وجيادك وعرياتك في أحسن حال، منذ أن كان والدي ووالدك على علاقة صداقة قوية، تبادلنا إرسال الهدايا الثمينة ولم يمتنع أحدهما عن الآخر فيما يتمناه، والآن أرسل لي أخي اثنين مينا من الذهب كهدية والآن منذ أن بدأت العمل في أعمال متنوعة للمعبد، فأبعث لي الكثير من الذهب وأي ما تتمناه من أراض أكتب إلي لأجله لك"⁽³⁾. ومما تتيته هذه الرسائل هو انه كانت هناك مبادلات اقتصادية على شكل هدايا بين ملوك بلاد الرافدين ومصر.

وبالرغم من علاقات الصداقة والمصاهرة التي كانت تربط "مصر" و"بابل" كانت "مصر" تشجع "آشور" ضد "بابل" ومن ثم هناك إشارة سريعة في رسالة من "بورابورياش" إلى "أخناتون"، يطلب منه فيها ألا يتدخل في شؤون الآشوريين الذين كان يعتبرهم الملك البابلي من رعاياه، غير أن الفرعون لم يعط هذه الإشارة اهتماما كبيرا.

⁽¹⁾ محمد بن عبد الرحمن السيد، المرجع السابق، ص 85.

⁽²⁾ بورابورياش (2648-2640 ق.م)، ملك بابل الكاشية عاصر الملك المصري أمنحوتب الرابع. أنظر محمد عبد الرحمن السيد، المرجع السابق، ص 293.

⁽³⁾ محمد عبد الرحمن السيد، المرجع السابق، ص 90-91.

وكان سلوك بابل شأهم في هذا شأن ملوك الشرق الأدنى وأمرائه، إنما يلحون في طلب الذهب من مصر، يبدووا هذا واضحاً من الرسائل المتبادلة بين ملوك بابل وفرعون مصر، والذي كان الموضوع الأساسي، فيها رغبة الملك البابلي الملّحة في الحصول على منحتة من ذهب فرعون، والمر كذلك بالنسبة إلى "بورابورباش الثاني" الذي طلب من فرعون مصر ذهباً كثيراً⁽¹⁾.

4-علاقة مصر بالدولة الآشورية:

لقد أقام الآشوريين علاقات مع الدول المجاورة خاصة مصر التي كانت تربطها علاقات جيدة مع الآشوريين، في عهد حكم "آشور أوبليط" (1365-1330 ق.م) أول ملك آشوري في العهد الآشوري الوسيط من أبرز أعماله القضاء على الميتانية، كانت له علاقة مع الحيثيين وفرعون مصر أمنحوتب الرابع (1367-1350 ق.م)⁽²⁾ واستطاع ملك "آشور" بعد التخلص من السيطرة الميتانية أن يمد نفوذه إلى الفرات، فكان دفعاً له شجعه على مراسلة "أمنحوتب الرابع" وبالفعل بعث الملك "آشور أوبليط" الأول برسالتين إلى "أمنحوتب الرابع" وجدتا في رسائل تل العمارنة وهما:

أ-الرسالة الأولى:

"إلى ملك مصر من آشورأوبليط ملك "آشور" أتمنى أن تكون أنت وبلدك وأهل بيتك وعرباتك وقواتك في أفضل حال، لقد أرسلت لك رسولي ليراك أنت وبلدك، لما كان أسلافي لا يرسلونك الآن أرسل إليك عربية ممتازة واثنين من الجياد وحجر من اللازورد النقي كهدية لك والرسول الذي أرسلته لك أرجو أن ترحب به وتجعله يشاهد ويرى ما في بلدك لكي يتعلم ويعود إلى.

ب-الرسالة الثانية:

إلى "نفخوريا الملك العظيم ملك مصر أخي آشور أوبليط ملك "آشور" الملك المعظم أخوك تحية إلى أهل بيتك وبلدك، وبعد أن رأيت رسلك، كنت سعيد جداً بحضوركم والعربة الجميلة التي أرسلتها

(1) محمد بيومي مهران، (تاريخ العراق القديم)، المرجع السابق، ص 310-311.

(2) آشورأوبليط الأول: محمد بن عبد الرحمان السيد، المرجع السابق، ص 271.

مع اثنين من الجياد البيض وأيضاً عربة وختم من اللازورد الجميل، تلك الأشياء التي أرسلتها كهدية لك، أيها الملك العظيم⁽¹⁾.

لقد استطاعت الدولة الآشورية على الرغم من كل الظروف المثيرة للقلق التي كانت تمر فيها أن تواصل توسعها حتى امتدت ما بين إيران شرقاً والبحر المتوسط غرباً وفي ظروف التدهور التي كانت تمر بها مصر الفرعونية تمكن العاهل الآشوري "أسرحدون" من إخضاع عاصمة الفراعنة طيبة 671 ق.م محققاً بذلك أوسع إمبراطورية شاملة عرفها الشرق القديم حتى ذلك العصر⁽²⁾.

في الوقت الذي كانت فيه العلاقات بين بلاد الرافدين ومصر قد اتسمت منذ أيام الدولة المصرية (1580، 1085 ق.م) بالتعاون والتحالف والمصاهرة بنجدها قد اختلفت في المراحل اللاحقة، حيث تعرضت مصر خلال الدولة الحديثة للغزو الآشوري ثلاث مرات فأما الغزوة الأولى كانت عام 671 ق.م من طرف الآشوريين بزعمارة الملك "أسرحدون" الذي بدأ بسلسلة من الهجمات ضد مصر أدت في النهاية إلى سقوط أسرة ملوك نباتا، وعبر صحراء سيناء ووصل إلى وادي اللطميلات وقد تفادى الدلتا حيث تجمعت فيها القوات المصرية، ودمر الحاميات المصرية، ووصل في خلال خمسة عشر يوماً إلى "منف" واستولى عليها، كما أسر الحرثيم وعائلة طهرقا، واتجه بعد ذلك نحو الدلتا التي هاجمها من الخلف وأخضعها لسيطرته⁽³⁾.

وبعد أن نظم "أسرحدون" الإدارة في الأقاليم وثبت بعض الحكام في أماكنهم واستبدل بعضهم بغيرهم من الوطنيين عاد إلى بلاده وبمجرد عودته بدأ المصريين في الثورة ضد الحكم الآشوري، وحالت وفاة "أسرحدون" المفاجئة دون العودة لقمع الثورة المصرية فوقع عبئها على خليفته "آشوربانيبال" (688-626 ق.م) الذي خلف أباه أسرحدون على العرش وعهد بحملة على مصر إلى رئيس قواده واستولى فيها على ممفيس ودمر طيبة⁽⁴⁾. هذا الأخير بدأ في تنفيذ مشاريع أبيه وهي الغزوة الآشورية الثانية على مصر عام (666 ق.م)⁽¹⁾، حيث أرسل آشوربانيبال قائده الأعلى الذي جمع المصريين من حوله، وأرسل "آشوربانيبال" جيشاً إلى مصر، ودارت المعركة في شرق الدلتا وهزم الجيش المصري، ثم

⁽¹⁾ محمد بن عبد الرحمان السيد، المرجع السابق، ص 80-81.

⁽²⁾ محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 176.

⁽³⁾ رمضان السيد، تاريخ مصر القديمة، هيئة الآثار المصرية، مصر، 1993، ص 260.

⁽⁴⁾ هنري سعبودي، المرجع السابق، ص 96.

تقدم الآشوريين إلى منف، واستولوا عليها مرة أخرى، ثم تابعوا مسيرتهم إلى طيبة حيث قاموا بإحضارها والاستيلاء عليها، وبعد ذلك نزلوا إلى مصر السفلى وأقاموا الحاميات في المدن الرئيسية. وفي عام 664 ق.م قام الآشوريين بغزوة ثالثة على المصريين فعلى الرغم من أنهم طردوا من مصر للمرة الثانية فإنهم لم يترددوا في العودة إليها مرة أخرى، وأصبح الطريق ممهداً أمام "آشوربانيبال" لدخول مصر، وتقدم بجيشه دون أن يقوم بمعركة فعلية، وقد فر "تانون آمون" إلى طيبة، وجاء حكام الدلتا المواليون للآشوريين لتقديم فروض الطاعة لآشوربانيبال وفي هذه المرة أراد "آشوربانيبال" أن يعاقب بشدة عدوه، وتتبعه حتى طيبة واستولى على المدينة التي نهبها ودمرها ومن بين الغنائم التي نهبها سلتان يغطيها الذهب والنحاس، وذاع نبأ سقوط المدينة الكبرى في جميع أنحاء العالم القديم⁽¹⁾، ولم يبق الآشوريين في مصر طويلاً بل عادوا إلى بلادهم واكتفوا بأخذ الجزية⁽²⁾.

5-علاقة مصر بدولة بابل الحديثة:

بعد سقوط "نينوى" وانتهاء الدولة الآشورية ، تكون الأوضاع في الشرق الأدنى القديم، ومنطقة غرب آسيا الصغرى، قد شهدت أحداثاً سياسية دولية هامة، وأدى هذا الانحيار إلى قيام قوى دولية جديدة كانت في يوم من الأيام خاضعة للسيطرة الآشورية ، فالمصريون بقيادة "بسماتيك الأول" أسس الأسرة المصرية السادسة والعشرين، وأصبحت البلاد في عهده مستقلة بعد أن كانت تحت السيطرة الآشورية ، وأما بلاد الرافدين فنجد أن الكلدانيين قد أسسوا دولة بابل الحديثة.

ويبدو من مجريات الأحداث التي أعقبت القضاء على آخر مقاومة "للآشوريين" أن الميديين لم يضموا بلاد آشور إلى بلادهم، بل اكتفوا بالنهب والسلب فانسحبوا إلى بلادهم تاركين حليفهم "نبوبلاصر"⁽³⁾، وشأنه ليقطع ما يستطيع اقتطاعه من أقاليم الدولة الآشورية ، فوجه اهتمامه الأول إلى الاستيلاء على "سوريا" و"فلسطين" بالنظر إلى الأهمية الحيوية لبلاد "بابل"، وليحول دون تغلغل الجيش المصري فيها. وفي عام (610 ق.م) مات "بسماتيك الأول" تاركاً لابنه "نخاو الثاني" مهمة استكمال ما بدأه من أعمال وحافظ "نخاو الثاني" على التزامات مصر تجاه ما تبقى من مملكة آشور،

⁽¹⁾ رمضان السيد، المرجع السابق، ص 261-263.

⁽²⁾ أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 232.

⁽³⁾ نبوبلاصر: ملك بابل (747-735 ق.م) من السلالة البابلية الثامنة كانت بابل مستقلة في بداية حكمه ثم تبعت لجلالتبلاصر

الثالث ملك آشور. أنظر: هنري س عبودي، المرجع السابق، ص 834.

واستفاد من الفراغ الذي خلفه اختفاء الآشوريين في "سوريا" و"فلسطين"، وهم على "حران" للاستيلاء على فلسطين وألحق الهزيمة بملك أورشليم⁽¹⁾. "يوشيا" (640-609 ق.م) هو الملك السادس عشر ليهودا، اندلعت حرب بينه وبين بلاد الكلدان ومصر، قتل في معركة ضد المصريين.⁽²⁾

وفي عام 606 ق.م تعرضت الحامية البابلية في مدينة "كيمخو" الواقعة على نهر الفرات جنوب مدينة "قرقميش" إلى هجوم مصري راح ضحيته كل رجال الحامية البابلية الذين حاولوا صد الهجوم المصري، ونتيجة لذلك توجه الملك "نبولاصر" نحو الشام لصد تقدم الجيش المصري، ولكن محاولة الملك البابلي لم تؤدي إلى نتيجة حاسمة لذلك أرسل ابنه "نبوخذ نصر الثاني" على رأس حملة عسكرية ثانية، فالتجّمت من "بابل" نحو قرقميش التي كانت مقر للجيش "المصري" بقيادة الملك "نخاو" بعدما اتخذوها قاعدة لتحركاتهم، فهدد "نبولاصر" إلى إقامة حامية قوية إلى الجنوب، وذلك على نهر الفرات، بعدها انسحب الجيش البابلي، بعد أن ترك حامية قوية، ولكنها هوجمت من جديد من طرف المصريين وانسحب رجال الحامية انسحاباً إستراتيجياً باتجاه الجنوب.

وكان "نبولاصر" الذي أقعده المرض وكبر في السن الدور في إنقاذ الموقف فأرسل حملة عسكرية تحت قيادة ابنه عام 604 ق.م، وذلك من أجل القضاء على القوات المصرية التي هاجمت الحامية البابلية، وكانت حركة الجيش البابلي، تتصف بالمباغطة، وعدم التوقع، ولذلك فإنهم كلما توغلوا في الجهة اليمنى لأعلى الفرات ازداد موقف الجيش المصري حرجاً في قرقميش، وصار الطريق الذهاب إلى البحر أكثر سهولة وهذا ما وفر فرصة قطع الإمدادات المصرية في أعالي "فلسطين".

وعندما سمع "نخاو الثاني" بتقدم الجيش "البابلي" جمع قواته وأسرع لملاقاة الجيش البابلي المتقدم على الحدود الشمالية لنهر الفرات "والتحم الجيشان عند مدينة قرقميش" في "معركة كان" كما نمتجتها أن صار الجيش المصري الذي تعقب "نبوخذ نصر الثاني" فلوله المنهزمة إلى "حماة" وألحق بهم

هزيمة ساحقة، وبالفعل رجع الجيش المصري متخلياً عن كل ما حققه خلال غزواته، ووصلت قوات "نبوخذ نصر الثاني" حتى حدود مصر ولكنها توقفت عندما وصلت أخبار موت والد "نبولاصر" الذي أخبر "نبوخذ نصر الثاني" أن يتفق مع "نخاو الثاني" على فض المشاكل بينهما

⁽¹⁾ محمد بن عبد الرحمن السيد، المرجع السابق، ص 203-204.

⁽²⁾ هنري س عبودي، المرجع السابق، ص 938-939.

خوفا من بقاءه مدة طويلة بعيدا عن "بابل" لأنه أراد أن يحضر مراسم دفن أبيه وتوجيه ملكا على "بابل"⁽¹⁾.

أما فيما يخص علاقة الآشوريين والكلدانيين بمصر، فقد تمثلت في الرسائل التي وجدت في تل العمارنة، وكانت فحوى هذه الرسائل هي اطمئنان الملوك على بعضهم، وكانت ترسل الهدايا مع هذه الرسائل، ويتضح من الرسائل أنه لم تكن هناك صفقات تجارية بين بلاد الرافدين ومصر القديمة، وإنما كان هناك تبادل هدايا بين فراعنة مصر وملوك بلاد الرافدين، وكان التبادل يتم على أساس القيمة الحقيقية للبضائع والتنوعية كانت تفحص بدقة، ومحاولات الخداع والغش يرد ذكرها في الرسائل، فعندما يتلقى ملك أو حاكم هدية من ملك أو حاكم آخر، عليه أن يرسل له هدية قيمتها توازي قيمة الهدية التي تلقاها، بمعنى آخر كان هناك تبادل تجاري اتخذ صفة تبادل الهدايا.

وقد تمثل هذا التبادل في المعادن النفيسة، فقد كان ملوك بلاد الرافدين يرسلون إلى فراعنة مصر اللازورد وأحجاراً كريمة أخرى كانت تستورد من المناطق الواقعة إلى الشرق من بلاد الرافدين، أما الفراعنة المصريون فكانوا يبعثون بدورهم إلى ملوك بلاد الرافدين الذهب بكميات كبيرة والأخشاب والعاج، كما عهد ملوك آشور وبابل على إرسال الخيول والعربات⁽²⁾.

مما سبق ذكره نرى أن العلاقات بين مصر القديمة وبلاد الرافدين خلال العهد الآشوري والكلدي كانت عبارة عن علاقات سياسية وعسكرية، وعقد معاهدات صداقة بينهما، وهذا ما يؤكد إرسال الهدايا مع رسل من الجانبين، وعقد المصاهرات⁽³⁾، أما عن وجود تأثيرات حضارية فهي نادرة جدا، فغالبية الكتابات التي تحدثت عن هذا العهد لم تتطرق لها، على غرار ما ذكرناه سابقا.

(1) محمد بن عبد الرحمن السيد، المرجع السابق، ص 205-206.

(2) محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 153.

(3) أحمد فخري، المرجع السابق، ص 85.

II/شواهد الاتصال الحضاري:

1-نظام الكتابة:

لاشك أن أكبر نقلة نحو بداية العصر التاريخي، هي التوصل إلى الكتابة الصورية في الشرق الأدنى القديم، وبصفة خاصة في "بلاد الرافدين" ترجع بوادر تلك الظاهرة إلى عصر ما قبل الكتابة تقريباً وهي المرحلة المتضمنة لحضاري "الوركاء" و"جمدة نصر"⁽¹⁾.

وقد مرت الكتابة بثلاث مراحل مهمة في التطور وهي كالتالي:

أ/ الطور الصوري: أي التعبير عن الشيء برسم صورته .

ب- الطور الرمزي: أي استنباط معانٍ صورة الأصل كاستخدام العلامة الدالة على الشمس للتعبير عن معانٍ مشتقة مثل (لامع، ساطع، مشرق) ، وبالمثل للتعبير عن كلمة (يوم) لأن شروق الشمس وغروبها يمثلان يوماً.

ج- الطور الصوتي: وفيه استخدمت العلامة ليس من أجل معناها الصوري أو الرمزي، وإنما من أجل صوتها فقط، وبهذه الوسيلة أمكن كتابة الأسماء على هيئة مقاطع صوتية⁽²⁾.

وقد عثر على بعض اللوحات الطينية في الطبقات الرابعة والثالثة والثانية في "الوركاء" ولوحات أخرى في "كيش" و"جمدة نصر"، سجلت عليها بعض الصور وكذلك رموزاً لإعدادها مما يؤكد الدافع الاقتصادي في عملية التواصل إلى اختراع الكتابة الضرورة ملحة استوجبتها المعاملات التجارية، بجانب الدافع الديني.

ومن الألواح الصورية التي جاءت إلينا من العصر الشبيه بالكتابي لم تدون بها أشياء مهمة إلا أنها تضمنت أموراً مهمة عن بعض الجوانب الاقتصادية وذلك بدراسة الأشياء المادية التي دونت بها، ومنها الأغنام والماعز⁽³⁾.

ويرجع المؤرخون انتقال الكتابة الصورية السومرية التي كانت أساس الكتابة المسمارية إلى مصر قبل أن تظهر هناك الكتابة الهيروغليفية ، فقد ظهرت الكتابة المصرية بعد الكتابة المسمارية كما أن نظامي الكتابة متشابهان إلى درجة عجيبة وإضافة إلى تشابه الرموز الدالة على الكلمات مثل رموز

(1) محمد بن عبد الرحمن السيد، المرجع السابق، ص 60.

(2) فاضل عبد الواحد علي، الخط المسماري واللغة الأكادية، (د، د، ن)، (د، م)، (د، ت)، ص 193-194.

(3) محمد بن عبد الرحمن السيد، المرجع السابق، ص 61.

كلمات يد، حرب، مسكن وغيرها بين خطي الكتابة فإن اللفظ الدال عليها يتشابه أيضا في أحيان كثيرة، ومثال على تشابه الكلمات ومعانيها كلمة "مادا" السومرية التي استعارها الأكاديون بشكل "ماتو" ونعني الأرض وجدت نفسها في مصر الفرعونية على هيئة مات وتعني الأرض المنخفضة⁽¹⁾.

ولاشك أن أصل الكتابة الهيروغليفية هو سومري، فالكتابة الخطية الصورية السومرية هي مصدر جميع الأشكال الرئيسية للكتابة الألفبائية القديمة والحديثة، والكتابة الهيروغليفية المصرية هي الارتداد المحلي إلى النمط الأبعد للكتابة الصورية السومرية بتقديمها أغلب العلامات وقد رسمت بتمام وإتقان بأشكالها الصورية الطبيعية والموضوعية. (أنظر الملحق رقم 6 ص 81).

إن اللغة المصرية القديمة، بالرغم من أن مصطلحاتها سامية، وجد أن جذور كلماتها الرسمية والثقافية الرئيسية من أصل سومري، كما عرض في القاموس (الآري السومري) نحو (600) جذر للكلمات وجذور الأفعال في اللغة السومرية وجدت جميعها في اللغة المصرية القديمة، هذا الأصل السومري والآري للهيروغليفيات المصرية ولجذور الكلمات الرسمية والثقافية في اللغة المصرية القديمة يضيف دليلاً آخر على الأصل السومري للحضارة المصرية⁽²⁾.

ومما يؤكد لنا ذلك الأصل هو الاحتكاك الحضاري الذي كان سائد آنذاك فقد كانت هناك مراسلات ما بين ملوك الدول وعلى سبيل المثال لا الحصر رسائل تل العمارنة بين مصر وبلاد الرافدين، هذا يثبت أنه كانت هناك وسيلة تواصل ألا وهي الكتابة، وقد أثبتت هذه الرسائل أشياء كثيرة أخرى، ضف إلى ذلك عمق العلاقة بين ملوك بلاد الرافدين وفراعنة مصر، فالأخوان "بورنابورباش" الكاشي (1375-1347 ق.م) وأمنحوتب الرابع (1367-1350 ق.م) كما يسمي منهما الآخر في المراسلات المتبادلة بينهما قد تبادلوا الهدايا المتمثلة في الخيول الأصيلة وأرطال الذهب ونفائس الأخشاب والعاج، وقد توجت العلاقة بينهما بالمصاهرة عندما تزوج الفرعون المصري من ابنة الملك الكاشي⁽³⁾.

(1) الحسن الطاهر، من بلاد الرافدين، دار أمواج للنشر والتوزيع، العراق، 2014، ص 370-371.

(2) أ. وادل، الأصول السومرية للحضارة المصرية، تر: زهير رمضان، الأهلية للنشر، الأردن، 1999، ص 253-254.

(3) فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 264.

2-الأختام الأسطوانية:

تعتبر من الأدلة القوية لوجود اتصال حضاري بين بلاد الرافدين ومصر القديمة، فلقد وفدت إلى مصر من مناطق بعيدة خارج حدودها، (أنظر الملحق رقم 7 ص 82)، وتم العثور على ثلاثة أختام أسطوانية من الأختام التي تميزت بها حضارة الوركاء أو حضارة ما قبل الكتابة، وقد عثر على هذه الأختام بمقبرة في نقادة، وقد شاع هذا النمط في صناعة الأختام في مصر، أي بضع أختام من الطين بواسطة لف أسطوانة ذات نقش خاص على الطين الطري وتركه حتى يجف، وظلت هذه الطريقة متبعة في صناعة الأختام لمدة تزيد عن 1500 عام حين حلت محلها طريقة الختم بالدق⁽¹⁾.

وزيادة على هذا فلقد تم العثور على أختام أسطوانية أخرى يبدو من موادها وأشكالها بأنها صنعت في بلاد النهرين أثناء النصف الثاني من الفترة الشبيهة بالكتابة، ولكنها وجدت في مصر، وتعود إلى نهاية فترة حضارة جزرة نقوشها متأثرة بحضارة "جمدة نصر" العراقية.

فأما الختم الأول فقد عثر عليه "بنجع الدير" ويؤرخ بنهاية الفترة الجرزية وقد صنع هذا الختم من حجر رمادي فاتح، ونقش عليه أربع سمكات ولوحة مستطيلة تتخللها خطوط متقاطعة بشكل شبكة، ولوحة مستطيلة وأخرى عمودية، تتضمن رسماً يمثل عظم سمك الرنجة ذي الشكل الهندسي، وتبدو التأثيرات العراقية في نقوش هذا الختم في رسم السمك وفي خلال اللوحة التي تتضمن الخطوط المتقطعة، إذ أن هذه النقوش كانت شائعة في الأختام الأسطوانية لبلاد النهرين. وأما الختم الثاني فقد عثر عليه في نقادة بالقبر وأرخ بالمرحلة الأخيرة من الفترة "الجزرية" وقد نقش عليه أشكال بيضوية تكونها خطوط محفورة على الختم، وهو يشبه نماذج عراقية تعود إلى "جمدة نصر" إضافة إلى هذين الختمين هناك ختم ثالث مصنوع من حجر جيري رمادي وقد نقش عليه أشكال بيضوية مترافقة مع سمكات وهو بذلك يشبه أختام "جمدة نصر" وختم رابع مطلي بطبقة زجاجية زرقاء، أما نقوشه فتتكون من ثلاث صفوف من الأسود ذيولها مرفوعة فوق ظهورها وأمثال هذه النقوش وجدت محفورة على أختام أسطوانية وقد طليت بمادة زرقاء داكنة، مما يؤكد أن هذا الأسلوب غير مصر تماماً⁽²⁾.

وظل الختم الأسطواني مستخدماً في مصر حتى نهاية الدولة القديمة، ولكن المصريين أخضعوه خلال هذه الفترة للتطوير والتكييف طبقاً لحاجاتهم العملية والروحية، حتى أصبح في مطلع العصر

(1) سيريل الدريد، الحضارة المصرية، تر: مختار السويدي، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 1989، ص 65-66.

(2) محمد عبد الرحمن السيد، المرجع السابق، ص 41-42.

التاريخي مصرياً تماماً، وليس فيه إشارة لأصله الأجنبي إلا شكله الأسطواني فقط، وقد عثر على أختام في قبور الأسرة الأولى، تبدو وكأنها كانت مستخدمة في أغراض غير التي استخدمت فيها أختام بلاد النهرين إذ من الممكن أن يقال عنها أنها أصبحت تيممة جنائزية، ما دام قد عثر عليها في القبور المصرية، وضعت هذه الأسطوانات من حجر السياتين الأسود، مما يؤكد صفتها الجنائزية، لأنها لم تصنع من مادة سريعة الزوال.

كما خضعت الأختام الأسطوانية التي استخدمها المصريون كأختام فعلية، فهي في أغلب الأحيان منقوشة بأسماء وألقاب موظفين مكتوبة بالهيروغليفية، ونادراً ما كانت تنقش بالرسوم وذلك على عكس الأختام العراقية التي كانت تستخدم الرسوم، ولم تعرف النقوش الكتابية إلى متأخراً ومن التطورات الأخرى التي أدخلها المصري على الختم الأسطواني، صناعة بعضها المخصص للاستعمال اليومي من الخشب القاسي ومن العاج ومادة كهذه لم تستخدم في بلاد الرافدين تقريباً وفي نهاية الأمر استبدلت الأختام الأسطوانية أثناء الدولة الوسطى بختم منبسط على شكل خنفساء⁽¹⁾.

3-الأواني الفخارية:

لقد ظهرت في مصر ابتداءً من أواخر العصر الحجري الحديث حتى نهاية الأسرة الثانية بعض المظاهر الحضارية التي تثبت وجود علاقات واسعة بينها وبين الشعب السومري، بل هناك من الباحثين من يقرر أن مصر كانت متأثرة إلى درجة كبيرة بعناصر من الفن السومري⁽²⁾. (أنظر الملحق رقم 8 ص 83). فقد عثر المنقبون في بلاد النهرين ومصر على نماذج متشابهة تؤرخ بفترة "جرزة"⁽³⁾ بالنسبة للآثار المصرية، وبفترة "جمدة نصر" للآثار العراقية ومن أهمها: آنية فخارية مزينة وعثر في مصر على إناءين فخاريين لكل منهما أربعة مقابض بشكل أذن مثبتة على الكتف، وتزينها زخرفة وتصل بين مقابض الإناءين، فالإناء الأول مصنوع من الفخار البني له سفه غليظة ذات لون أصفر شاحب ويؤرخ هذا الإناء لفترة "جرزة" وقد وجدت في "جمدة نصر" و"كيش" آنية فخارية مشابهة أما الإناء الثاني فقد وجد في البدا ري في مقبرة ولم يبق منه سوى الجزء العلوي الذي يتميز بشفة مقلوبة وعنق

(1) نفسه، ص 44-45.

(2) إبراهيم رزقانة وآخرون، المرجع السابق، ص 280.

(3) جرزة: نسبة إلى الحضارة الجرزية، ترجع هذه الحضارة إلى ما بين (3950-3400 ق.م) كشف عنها في منطقة تقع عند مدخل الفيوم وهي حضارة كانت معاصرة لحضارة نقادة الثانية، أنظر: محمد بن عبد الرحمان السيد، المرجع السابق، ص 303.

قصير كما زين الإناء من الأعلى بنطاق عبارة عن نقش مؤلف من خطوط بسيطة يمتد بين مقابضه الأربعة، وتحت هذا النقش التفصيلي نقش آخر مكون من أزرار صغيرة، أما في بلاد الرافدين فقد وجدت أواني فخارية تؤرخ بفترة "جمدة نصر" و"الوركاء" و"قارة" و"نينوى" وهي تشبه النموذج المصري الثاني حيث أن لها مقابض للأذان وتزينها أحزمة تصل بين مقابضها⁽¹⁾.

وقد ظهرت في مصر أوان فخارية من نوع جديد إذ زخرفت سطوحه الخارجية برسوم حمراء من بينها المثلث المتكرر والممتد حول عنق الآنية وكذلك خطوط المتعرجة والطيور المائية ذات السيقان الطويلة في وحدات متكررة.

هذه العناصر الزخرفية ظهرت بشكل مماثل فوق الأواني الفخارية من نفس العصر في عيلام وحضارة سومر، ولقد استعمل المصريون في عصر ما قبل الأسرات سدادات من الطمي مخروطة الشكل وذلك لتغطية فوهات الأواني الكبية التي اعتادوا تخزين الحبوب والزيت فيها واعتادا المصريون أن يمهّدوا هذه السدادات بغلافات بارزة تدل تارة على نوع المخزون في الآنية، وتارة تدل على اسم صاحب الآنية، وكانت هذه العلامات يتم إبرازها فوق سطح المخروط بواسطة ختم أسطواني الشكل حفرت عليه هذه العلامات بشكل غائر، هذه الأختام عرفها السومريون⁽²⁾.

وهناك نماذج أخرى لأواني ذات صنابير تعود أصولها إلى بلاد الرافدين بصورة واضحة، ومن المحتمل أن تكون هذه الأواني التي وجدت في مصر أكثر تطوراً من الأنواع نفسها التي وجدت في "كنعان" والتي تأثرت بسوريا والتي بدورها تحمل ارتباطات قوية مع بلاد النهرين، فقد كانت بلاد الشام تشكل منطقة اتصال بين مصر وبلاد الرافدين في هذه الفترة التاريخية، وأول ظهور لهذه النماذج كان في "الوركاء" وابتداءً من طبقة "الوركاء" أصبحت تصنع على الدولاب في هذا العصر تشبه النماذج الفخارية حيث لكل من النموذجين بطون مكورة وأعناق قصيرة، ومن هذه النماذج المصرية والعراقية المتشابهة فقد عثر بمقبرة في "البداري"⁽³⁾ إبريق فخاري له صنبور يشبه إبريقاً فخارياً عثر عليه في "الوركاء" له بطن مكور وعنق وهو في هذا يشبه إبريقاً فخارياً مصرياً عثر عليه في منطقة

(1) محمد بن عبد الرحمن السيد، المرجع السابق، ص 45.

(2) إبراهيم رزقانة وآخرون، المرجع السابق، ص 281.

(3) البداري: تقع على الضفة الشرقية للنيل فيما بين "ابوتيج" و"طما" بمحافظة "أسيوط"، تمتاز هذه الحضارة باستخدام الفأس النحاسية والسهام والقش وعصا الرماية ودبابيس القتال ذات الرؤوس التي على شكل القرص، أنظر: أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 74.

"مستجدة" كما عثر على نماذج فخارية ذات صنابير في "نقادة"⁽¹⁾ و"أبو صبر الملق" يؤرخ بنهاية عصر ما قبل الأسرات وبداية الأسرة الأولى.

4- فن الرسم والنقش والنحت:

وفيما يتعلق ببعض الظواهر الفنية العراقية التي انتشرت في نقوش بعض الآثار المصرية، والتي تؤرخ بفترة ما قبل الأسرات، مثل نقوش بعض الصلايات، (أنظر الملحق رقم 9 ص 84)، ومقابض بعض السكاكين، وبعض الصور الجدارية⁽²⁾. وأشكال الحيوانات الأسطورية مثل: النقش الذي يمثل حيوانين أسطوريين هما جسما نمرين برقبيتهما ثعبانين، إلى ذلك النقش الذي يمثل حيوانا خرافيا مجنحا بصفة نسر ونصفه الآخر أسد، ومثل التكوين الزخرفي المكون من ثعابين وحيات متشابكة وفي شكل ضفائر⁽³⁾.

ولقد عثر في مصر على سكين نقش عليه منظر يمثله بطلاً يقف بين أسدين، وكأنه يسيطر عليهما، وقد صور البطل وهو يرتدي جلباباً طويلاً ويربط جزءاً من شعر رأسه بعصاه تشبه العقال، بينما يرسل الجزء الخلفي منه على شكل ضفائر ونفس هذا المشهد يصور ما يشبه القائد أو الملك، نقشت صورته على لوحة من البازلت طولها 80 سم وعرضها 60 سم، عثر عليها في "الوركاء" وتؤرخ بفترة "جمدة نصر" ونر في هذه اللوحة الملك أو القائد يجلبان طويل، وشعره يشبه في تصفيفه شعر البطل المرسوم على سكين جبل العركى، (أنظر الملحق رقم 10 ص 85)، وهو يصارع أسداً مرةً برمح، ومرة أخرى بقوس وسهم. كما ظهر أسلوب التناظر في آثار بلاد الرافدين في نقوش الأختام الأسطوانية التي تؤرخ بفترة ما قبل الكتابة، إن تصور نقوشها بطلاً واقفاً بين أسدين، وقد بدا وكأنه يسيطر عليهما بيديه المجردتين.

أما ظاهرة تصوير بعض الحيوانات الخرافية، فقد تجلّى هذا الأسلوب من التصوير في نقوش بعض الصلايات، فمثلاً: نقش على أحد وجهي صلاية "الكوم الأحمر" الصغرى حيوانان ضخمان

(1) نقادة: تقع في محافظة "قنا"، وقد تميزت حضارة نقادة بازدياد الفن الاقتصادي والتقدم الفني وبالإنقان الكبير للأدوات الحجرية، والتوسع النسبي في استخدام النحاس، ويتعدد أنواع الفخار وأشكاله، أنظر: سمير أديب، (موسوعة الحضارة المصرية القديمة)، المرجع السابق، ص 821.

(2) محمد بن عبد الرحمان السيد، المرجع السابق، ص 45-47.

(3) سيريل الدريد، المرجع السابق، ص 67.

لكل منهما عنق طويل مموج، ورأس يشبه رأس الأفعى، ومن الملاحظ أن مثل هذه الأشكال الحيوانية الخرافية الملتفة الأعناق، قد وجد ما يماثلها منقوشا على أختام أسطوانية عراقية⁽¹⁾.

وتشير ألواح الكحل المصنوعة من حجر الأردواز والتي شاع استعمالها منذ العصر الحجري الحديث وامتازت نماذجها التي ظهرت في عصر ما قبل الأسرات والأسرة الأولى برسوم بارزة تمثل حيوانات مختلفة من بينها حيوانات تتكون من عناصر متعددة فنجد بعضها يتكون من رأس ثور وعنق ثعبان وجسم أسد، هذه الظاهرة الفنية التي تهدف إلى تمثيل حيوانات مصنوعة من الطين وهي من أهم مميزات الفن السومري، بينما لم تظهر في الفن المصري في أي عصر آخر غير العصر الذي نحن بصدد إضافة إلى هذه المظاهر الفنية هناك ظاهرة تستلفت النظر وهي أن سومر عرفت النحاس كمعدن كان يستخرج من أراضيها.

وقد عثر فيها على قطع فنية كثيرة صنعت من هذا المعدن تدل صناعته على تفوق كبير وهي تشبه في نفس الوقت في طريقة صنعها وفي أسلوبها العام الأدوات النحاسية التي عثر عليها في مصر وسوريا من نفس العصر، ويفسر العلماء هذه الظاهرة بأنه لا بد وإن كانت هناك منطقة غنية بالنحاس أتقنت صناعته ثم تبادلت هذه السلعة مع بلاد الشرق القديم.

أما فيما يخص التماثيل فقد عثر في مصر على تماثيل صغيرة من الجرانيت لأسد جالس فاتح فاه وهو يرجع إلى عصر ما قبل الأسرات وظاهرا تماما أن صناعة هذا التماثيل والأسلوب المتبع فيه غير مصرية بل وأنه متأثر إلى حد كبير بالفن السومري الذي حرص على تمثيل الأسود فاتحة أفواهها وعيونها جاحظة وشعرها مرتفع يحيط بالرأس والرقبة مع تمثيله بدقة تميل إلى المبالغة، بينما الأسلوب الفني المتبع يحتم تمثيل الأسد مقفل الفم، مع استعمال خطوط لينة كتتمثل خصائص الوجه والرأس والجسم دون أي مبالغة⁽²⁾.

5- تأثيرات في العمارة:

تعتبر العمارة واحدة من أهم المظاهر الحضارية التي تركها لنا الإنسان في منطقة الشرق الأدنى القديم، وقد تطورت من عصر إلى عصر وذلك من استخدامها للطين ثم الأحجار ولا يزال الإنتاج المعماري الضخم الذي مدنيات الشرق الأدنى القديم واضحة وخاصة في كل من بلاد النهرين ومصر

(1) محمد بن عبد الرحمن السيد، المرجع السابق، ص 47-48.

(2) إبراهيم رزقانة وآخرون، المرجع السابق، ص 282.

القديمة رغم اختلاف مظاهرها، وذلك يرجع إلى أسباب بيئية ومحلية مع احتفاظ كل من بلاد الرافدين ومصر بطابعه الحضاري الخاص، وتتمثل تأثيرات بلاد الرافدين على العمارة المصرية فيما يأتي:

طرز الأبنية ذات الدخلات والخرجات المنتظمة التي انتشرت في مصر في مطلع الأسرة الأولى المصرية، وقد اعتبر هذا الطراز طاغيا على العمارة المصرية، وذلك لأنه لا توجد في مصر أنماط معمارية سابقة عليه تمثل مراحل تطوره المبكرة، ومن جهة ثانية أن بلاد الرافدين هي مهد هذا الطراز المعماري حيث وجدت عمارة الطوب منتشرة في بلاد الرافدين⁽¹⁾ والتي تميزت جدرانها بالفجوات الرأسية الطويلة⁽²⁾.

ووجدت مباني ذات دخلات وخرجات أبسط من الدخلات والخرجات في مباني "جمدة نصر". وقد وصل هذا الأسلوب في تزيين المباني في هذا العصر إلى الذروة، وأيضاً وجدوا البناء الخشبي الأساسي الذي نشأت منه فكرة الدخلات والخرجات، وبذلك وجدوا أن بلاد النهرين لها السبق في المرحلة الأولى لتطوير هذا الطراز المعماري.

ومما سبق يمكن القول بأن الأبنية المشيدة بالطوب والمزينة بالدخلات والخرجات المنتظمة قد وجدت في بلاد الرافدين منذ فترة العبيد، وأنه من الممكن تتبع هذا الطراز فيها اعتباراً من أبسط أشكاله، وأن ذلك الطراز المعماري المزين بالدخلات والخرجات المنتظمة، كان واحداً من التأثيرات الواقية التي وصلت إلى مصر فيما قبل الأسرات، وذلك لعدة أسباب نحملها فيما يلي:

أ- إن ظهور هذا الطراز في العمارة العراقية في فترة مبكرة يعود إلى فترة العبيد، واستمرارها في الفترات الحضارية اللاحقة يشير إلى أن بلاد النهرين كانت الموطن الأول.

ب- تتشابه التقنية المعمارية المستخدمة في كل من مصر وبلاد الرافدين، وذلك من علة أوجه، فأما الوجه الأول فهو استخدام ثلاثة صفوف من الطوب المتناوبة عادة من صف واحد من الطوب الموضوع بعرضه باتجاه الحائط، وقد ظهر هذا الأسلوب بأبنية "نقادة" في مصر، وظهر بأبنية الوركاء وتل أسمر في بلاد الرافدين، والوجه الثاني الذي تميز ببناء رصيف ساتر حول الأبنية ذات الدخلات والخرجات المنتظمة⁽³⁾، حيث ظهرت مقبرة الملكة "نيت حتب" في نقادة وكأنها مبنية على قاعدة

(1) محمد بن عبد الرحمان السيد، المرجع السابق، ص 53.

(2) أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، ط 2، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1980، ص 26.

(3) محمد بن عبد الرحمان السيد، المرجع السابق، ص 54-56-57.

مستطيلة الشكل، وفي الحقيقة أن البناء لم يكن مقاماً على منصة، ولكن يبدو أن الرصيف الساتر قد أقيم حول جدران المقبرة بعد تشييدها ليحميها من الخارج ومثل هذه الطريقة معروفة في بلاد النهرين منذ فترة أقدم من ظهورها في مصر حيث استخدم الرصيف الساتر في بلاد الرافدين في معبد "أريدو" الذي ظهر في الطبقة التي تعود إلى نهاية عصر العبيد، كما توجد أيضاً في كل من "بلاد الرافدين" و"مصر" ظاهرة معمارية قديمة وهي الأقواس والقباب، حيث استخدم البنائون في البلدين اللبن بعد تخفيفه كما استخدموا الطين لبناء الأقواس والقباب، ولم تختلف بلاد الرافدين عن مصر في وجود الأسقف المقببة وخاصة في جنوب العراق، ويظهر رسم القبة على أحد الأواني الحجرية الرخامية من فترة الوركاء، حيث يظهر الكوخ المصنوع من حزم القصب على شكل قبة، كما ظهر شكل القبة على بعض الأختام الأسطوانية، لتوضح لنا نماذج البيوت السومرية وواجهات المعابد ذات الأقواس⁽¹⁾.

أما عن علاقة الزيقورات (أنظر الملحق رقم 11 ص 86) بالأهرامات، فلقد بنيت المصاطب في العراق أولاً، وذلك في فترة انتشر فيها تأثير العراق الثقافي ووصل كما هو مثبت إلى مصر ووضح أن الغرض من المصطبة عملي في العراق بدرجة أكبر مما هو في مصر، ففي العراق تقي المصطبة من الفيضان كما وتقرب الخلق إلى الخالق، بينما أنشأت مصاطب هائلة في مصر، لا شيء إلا ليُدفن تحت جزء منها جثمان الملك وقد يكون انتقال فكرة وضع المصطبة فوق الأخرى في طبقات، فليس بعيداً أن ينتقل تاجر، أو مسافر، ما رأى من عجائب فيعطي أفكاراً جديدة لسكان البلد يستعملونها وفق خصوصية بلدهم وأهدافهم فإن رأى تاجر معبداً فوق مصطبة أو عدداً منها في أرض بلاد الرافدين فإن ذلك سيوحي لمهندسي بلده بتركيب مصاطبهم على بعض وبناء أهرامات مدرجة لأغراضهم الخامة، وهذا ما حصل في سقارة حين استنسخت فكرة الزقورة ووجود التأثير في تلك الفترة من العراق باتجاه مصر ربما كانت هذه فكرة أخرى انتقلت إضافة إلى الأفكار التي تأكدنا من انتقالها قطعياً، وظهور الزاقورات البسيطة بشكل طبيعي في العراق قبل إنشاء أي مبنى مشابه في مصر⁽²⁾.

⁽¹⁾ نفسه، ص 57-60.

⁽²⁾ الحسين الطاهر، المرجع السابق، ص 374-375.

6-تأثيرات في الزراعة:

أما عن الزراعة في بلاد الرافدين فكان أصلها مصري، نقلا عن كلام موسى عليه السلام، حيث يقول في هذا الشأن أن السومريين أخذوا الزراعة عن المصريين، فقد أثرت الحضارة المصرية على حضارة بلاد الرافدين في هذا المجال حيث أن الشعير الذي تنشق حبوبه كان يأتي الى بلاد الرافدين من مصر.

والزراعة حوالي سنة 4000 ق م، لم تكن شيئا آخر غير القمح والشعير حيث أن زراعة يد الحبة قامت على اكتشاف هذين النباتين، فاذا قلنا أن مصر علمت السومريين زراعة القمح والشعير ومنحتهم الاسم المصري، فان هذا يعني ان مصر علمت السومريين الزراعة، والزراعة هي أول مراحل الحضارة.

وعند السومريين تقاليد قديمة تقول أن الذي علمهم رجل هبط من خليج فارس ومصر كانت متحضرة تعرف الزراعة وملاحة النهر والبحر حوالي 4000 سنة ق م، والرجل الذي علم السومريون الزراعة وأعطاهم الاسم المصري للقمح هو رجل مصري، خرج للبحث عن العقاقير والجواهر، ونقل الى بلاد الرافدين مبادئ الزراعة.⁽¹⁾

7-تأثيرات في الدين:

هناك علاقة واضحة بين قصة سيدنا موسى الذي عاش في مصر وسرجون الأكدي الذي عاش في بلاد الرافدين، وتمثلت هذه العلاقة في تشابه قصة سيدنا موسى بقصة سرجون والقاسم المشترك بين هاتين القصتين هو اليم، ويقول سرجون الأكدي عن نفسه أن أمه وضعته خفية على ضفة نهر الفرات في سلة من قصب دهنت بالقار وألقت بها في النهر.⁽²⁾

وهذا الأمر حدث مع ام موسى حيث قال الله تعالى في كتابه "وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين"⁽³⁾، وقد

⁽¹⁾ سلامة موسى، مصر أصل الحضارة، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر، (د.ت)، ص31.32.

⁽²⁾ محمد بيومي مهران، (تاريخ العراق القديم)، المرجع السابق، ص125.

⁽³⁾ القرآن الكريم، سورة القصص، الآية 6

ذكرت هذه القصة في التوراة حيث نجد في سفر الخروج مايلي: "ولما كبر الولد جاءت به الى ابنة فرعون فصار لها ابنا ودعت اسمه موسى وقالت اني انتشيتته من الماء."⁽¹⁾

⁽¹⁾ سفر الخروج: الاصحاح 2: الآية 11.

ومما تمخض سابقا حول دراسة العلاقة فهي تأثير وتأثر بين حضارتي "بلاد الرافدين" و"مصر القديمة"، وبعد أن عرضنا أوضاع كل من الحضارتين الداخلية، والتي مّوت بتغيرات عديدة فأحيانا هناك استقرار ورخاء وازدهار، وأحيانا أخرى تسود الفوضى والاضطرابات، خاصة في أواخر عهد الدولة القديمة وعهد الدولة الأكديّة في "بلاد الرافدين" وبالرغم من هذه التغيرات فقد كانت هناك علاقات بين "بلاد الرافدين" و"مصر القديمة" منذ منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، وتميزت هذه العلاقات بالصدقة أحيانا وبالعدوان أحيانا أخرى.

وقد تمثلت هذه العلاقات في التأثيرات الحضارية منذ عصر حضارة الوركاء في "بلاد الرافدين" وعصر ما قبل الأسرات في "مصر القديمة"، ومن هذه التأثيرات الكتابة والأختام الاسطوانية والفن والعمارة والأواني الفخارية ومجموعة من النقوش مثل (نقوش الصلايات وسكين جبل العركي والحيوانات المركبة، ورسوم السفن ذات المقدمات والمؤخرات المرتفعة، والتشابه الكبير في الكتابة الصورية في بداية ظهور الكتابة في "بلاد الرافدين" ثم انتقلت بعد ذلك إلى "مصر القديمة"، كما نجد التأثير المصري على الرافدي في مجال الزراعة حيث أن بلاد الرافدين أخذت الزراعة عن مصر. واستمرت المظاهر الحضارية التي نقلتها "مصر القديمة" عن "بلاد الرافدين" منذ منتصف الألف الرابع قبل الميلاد وحتى بداية الألف الثالث قبل الميلاد، ثم أخذت بالتناقص حتى توقفت في عهد الأسرة الثالثة، حيث عند الانتقال إلى مرحلة العصور التاريخية فإن المعلومات عن العلاقات بين "بلاد الرافدين" في عهد الدولة الأكديّة و"مصر القديمة" في عهد الدولة الوسطى نادرة جداً، وهذا بسبب الاضطرابات والفوضى التي سادت في كلا الحضارتين، ضف إلى ذلك دخول موجات بشرية جديدة إلى منطقة الشرق الأدنى، وحكمت المنطقة في حدود منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، وأحدثت الفوضى وانعدام الأمن والاستقرار.

وفي عهد الدولة الحديثة في "مصر القديمة" وعهد الدولة البابلية الثانية في "بلاد الرافدين" عادت العلاقات بين هاتين الحضارتين وهو ما تبينه الرسائل المتبادلة، حيث تمثلت هذه العلاقة في المظاهرات، وكثرة طلب الملوك البابليين للمزيد من إرسال الهدايا من مصر ولاسيما الذهب لتزيين معابدهم ونسائهم، ومقابل ذلك كان الملوك "الكاشيين" يقدمون للفراعنة حجر اللازورد والخيول والعربات والنساء.

وفي العهد الآشوري شهدت العلاقات بين "بلاد الرافدين" و"مصر القديمة" تدهوراً ملحوظاً، فقد وقع هناك تنافس فيما بينهما على "بلاد الشام"، وبدأت الصراعات في الشرق الأدنى القديم وبعد سيطرة "الآشوريين" على "بلاد الشام" أصبح هناك صراع كبير بين المصريين والآشوريين، وهذا يعد من الأسباب التي وترت العلاقة بين الحضارتين، مما أدى إلى غزو الآشوريين لمصر القديمة عام (674 ق.م) بقيادة "أسرحدون" الذي فرض سيطرته الكاملة على البلاد، ثم توفي "أسرحدون" وخلفه ابنه "آشوربانيبال" الذي خطى على نهج أبيه في غزو مصر من جديد.

وبعد سقوط الدولة الآشورية على يد الملك البابلي "نوبلاصر" مؤسس الدولة البابلية الحديثة، والذي دخل هو الآخر في صراع مع المصريين، حيث أرسل ابنه "نبوخذ نصر الثاني" للقضاء على القوات المصرية، التي تحالفت مع الآشوريين واستولت على "كركميش"، حيث ضرب الجيش البابلي الجيش المصري وألحق به هزيمة ساحقة، وظلت الصراعات قائمة، حيث كان النصر حليف البابليين دائماً، ولكن مجيء "أحمس الثاني" وتوليئه للعرش تغيرت الأوضاع فكانت العلاقات البابلية المصرية في عهده طيبة تميزت بسلام استمرت حتى نهاية الدولة البابلية الحديثة عام (549 ق.م).

وكاستنتاج نجد أن كل من بلاد الرافدين ومصر القديمة تأثرتا فيما بينهما عبر العصور وذلك فيما يلي:

■ أن حضارة مصر تأثرت بحضارة بلاد الرافدين خاصة في العهد السومري، ومما يثبت ذلك الآثار التي عثر عليها فيها والتي يرجع أصلها إلى الحضارة السومرية (كالأختام الأسطوانية والاواني الفخارية وفن النقش والنحت والرسم والعمارة). وفي المقابل تأثرت حضارة بلاد الرافدين بالحضارة المصرية في المجال الديني وفي مجال الزراعة.

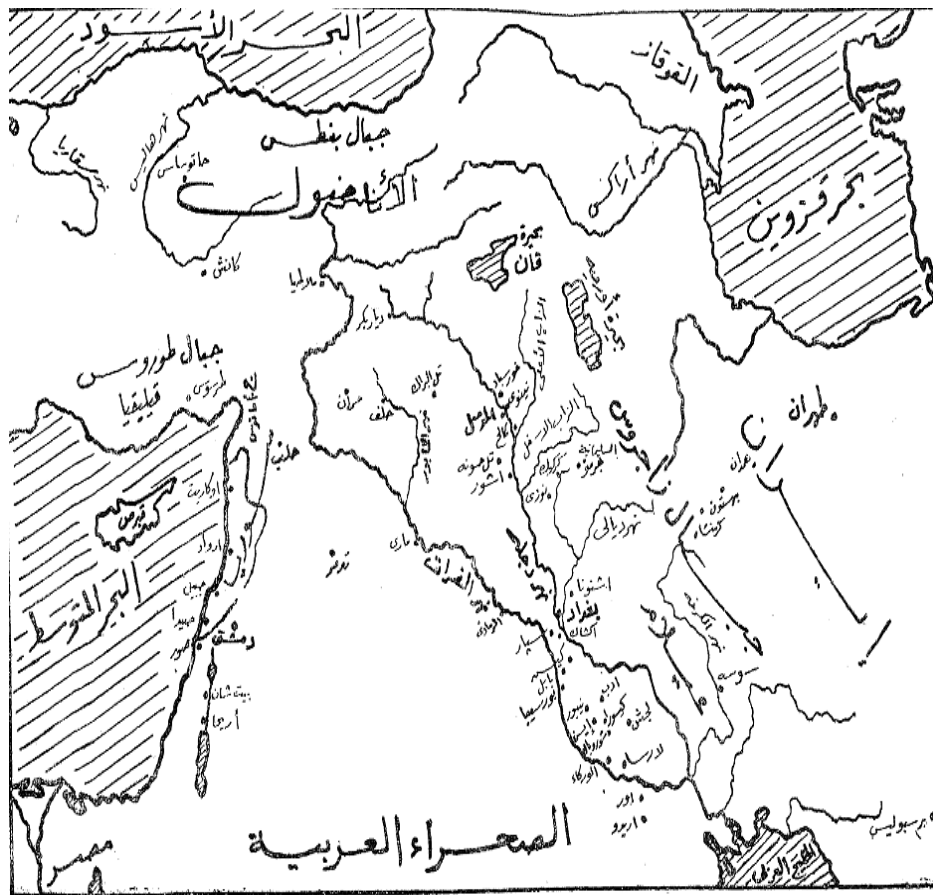
■ حدثت علاقات أخرى بين الحضارتين خلال العهد البابلي والآشوري والكلداني، حيث كانت هذه العلاقات في البداية جيدة وصلت إلى حد المعاهدة، ثم ساءت هذه العلاقات خلال العهد الآشوري والكلداني، بعد أن غزا "أسرحدون" مصر، ثم بعد وفاته تابع ابنه آشوربانيبال غزو مصر هو الآخر، ضف إلى ذلك فقد عرفت مصر الغزو الكلدي بقيادة "نبوخذ نصر الثاني".

ملحق رقم 1.



خريطة مصر القديمة.

المصدر: والتربي امري، **مصر في العصر القديم**، تر: راشد محمد نوير ومحمد علي كمال الدين، والنشر، مصر، 2000، ص4. نَهْظَة مصر للطباعة



خريطة بلاد الرافدين وماجاورها من بلدان.

المصدر: محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 2.

ملحق رقم 3

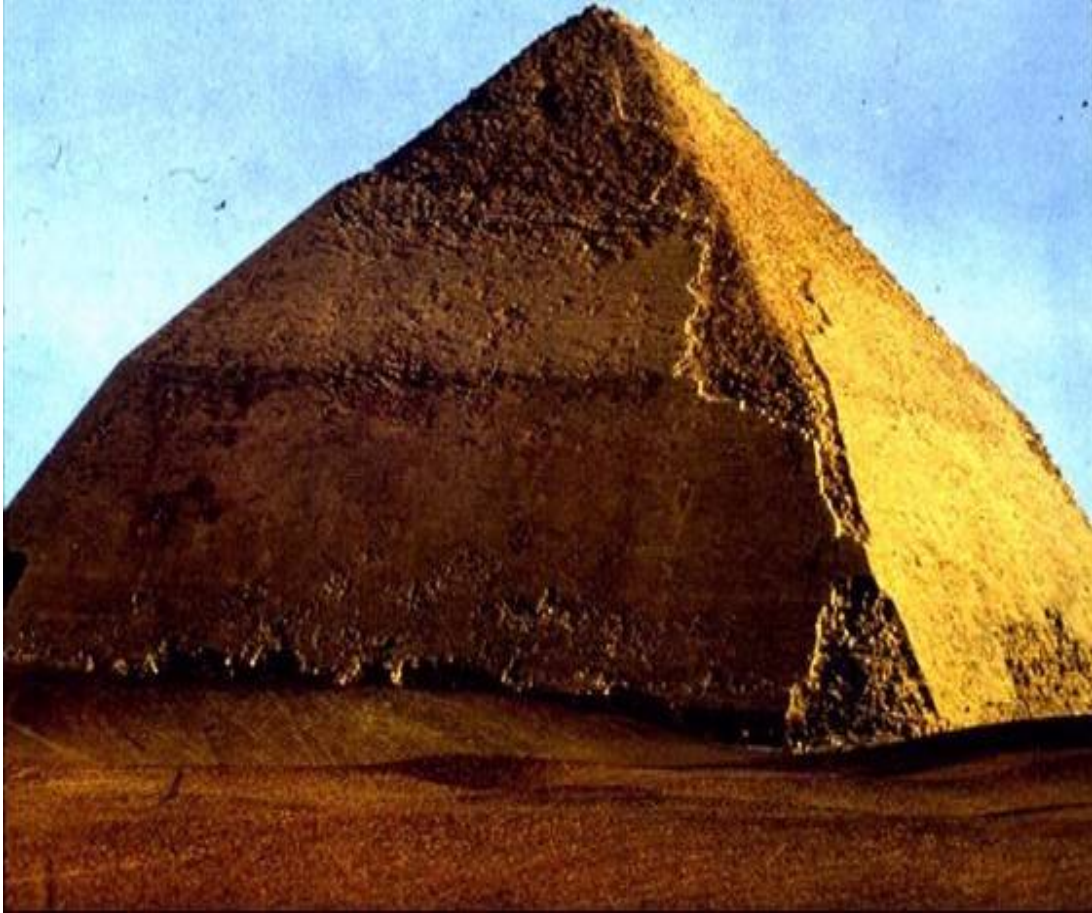


هرم الملك زوسر المدرج

المصدر: أحمد فخري، الأهرامات المصرية، تر: أحمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر،

1993، ص36.

ملحق رقم 4



هرم الملك سنفرو .

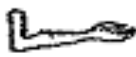
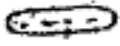
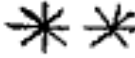
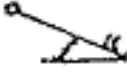
المصدر: أحمد فخري، الأهرامات المصرية، المرجع السابق، ص139.

ملحق رقم 5



هرم الملك خوفو.

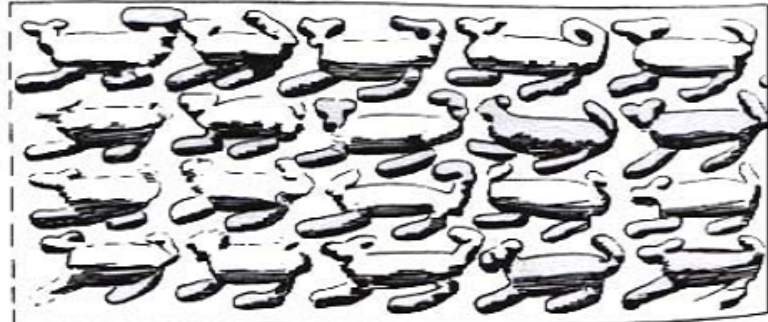
المصدر: أحمد فخري، (الأهرامات المصرية) ، المرجع السابق، ص144.

المصرية			السومرية		
المعنى	اللفظ	صورة الرمز	المعنى	اللفظ	صورة الرمز
يد مصورة بيد وذراع	آ		يد، مصورة بيد وكم مزويكش	آ، آ	
جزيرة، حي، مكان	عا، يا		أرض، أساس، مسكن	آ، آ	
منقل نار	أخ		منقل نار	أخ، آكا	
نسر مستحضر، طريق وأصفة النسر بأنه طير - أعمر	آخا - مت		طير الريح، نسر بقوة	أخ	
قتال، حرب يدان تحملان ترساً وزمناً أو فأس قتال	أخا، آحا		حرب، جبار، قتل، قتال يد تحمل ترساً مع فأس قتال في داخله	أخا، إخا	
كل، كلية، تمام مصورة بحزمة مربوطة من الخشب	أو، أو، آل		تمام، كل، مجموعة من الخشب، ريم، علق	آلا، آل	
نجمة	أنخ		نجمة	آن، أس	
محراث	آن، هاب		محراث ذو مقل ويتمدد في تصاعد الأرض	آن، أب	

الأصل السومري للهيروغليفيات المصري.

المصدر: أ، وادل، المرجع السابق، ص 36.

ملحق رقم 7.



أختام أسطوانية تؤرخ بفترة ما قبل الأسرات ذات تأثير رافدي.
الصدر: محمد عبد الرحمان السيد، المرجع السابق، ص 348-349

ملحق رقم 8



أواني فخارية في مصر ذات تأثير رافدي.
المصدر: محمد عبد الرحمان السيد، المرجع السابق، ص 355.



صلاية تمثل بعض الحيوانات الخرافية في مصر ذات تأثير عراقي.
المصدر: محمد عبد الرحمان السيد ، المرجع السابق، ص 355.

ملحق رقم 10



مقبض سكين جبل العركي.

المصدر: محمد عبد الرحمان السيد، المرجع السابق، ص. 353.

ملحق رقم 11



زاقورة أور في بلاد الرافدين.

المصدر: توفيق سليمان، دراسات في حضارات غرب آسيا القديم، دار دمشق، سوريا،
1985، ص 419.

1./المصادر الكلاسيكية:

أ-الكتب المقدسة:

1. القرآن الكريم.

2. سفر الخروج.

ب-الفرنسية:

1. Herodot, **Histoires**, Livr1, traduit par: le grand les belles lettres, paris, 1936.
2. Strabon, **l'agographie de strabon**, livre 1, trad: Amedee ,Hachette, paris, 1980.

ج-العربية:

1. هيرودوت، التاريخ، تر: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 2001.
2. هيرودوت، هيرودوت يتحدث عن مصر، تر: محمد صقر خفاجة، دار القلم، مصر، د.ت.

2./المراجع:

أ- المراجع العربية:

1. أبو خليل شوقي، الحديث النبوي من الكتب الصحاح الستة، دار الفكر، سوريا، (د.ت).
2. أديسمير، تاريخ وحضارة مصر القديمة، (د ن)، مصر، 1997.
3. إسماعيل حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1997.
4. السيد رمضان، تاريخ مصر القديمة، ج2 هيئة الآثار المصرية، مصر، 1993.
5. الأنصاري ناصر، المجمع في تاريخ مصر، ط2، دار الشروق، مصر، 1997.
6. الحسيني عبد الرزاق، العراق قديما وحديثا، ط3، دار العرفان، لبنان، 1958.
7. الطنطاوي وليد علي، الحضارة المصرية القديمة وأسرارها، دار شاه علم، ماليزيا.
8. الطاهر الحسن، من بلاد الرافدين، دار أمواج للنشر والتوزيع، العراق، 2014.
9. الماجدي خزعل، متون سومر، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، 1998.
10. بيومي محمد مهران، المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم، ج2، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د ت).
11. بيومي محمد مهران، تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1990.
12. جمال الدين الفندي محمد، النيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993.

13. ذنون عبد الحكيم ،التشريعات البابلية، دار علاء الدين، سورية، 1992.
14. رزقانة إبراهيم وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم، دار مصر للطباعة، مصر، (د،ت).
15. عبد الواحد علي فاضل، الخط المسماري واللغة الأكادية، (د،ن)، (د،م)، (د،ت).
16. سليم أحمد أمين ، تاريخ العراق إيران آسيا الصغرى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000،
17. سليم أحمد أمين، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة، بيروت، (د،ت).
18. سليم أحمد أمين ،العصور الحجرية، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د،ت).
19. سعد الله محمد علي ،في تاريخ مصر القديمة، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2001.
20. سليمان توفيق ، دراسات في حضارات غرب آسيا القديم، دار دمشق، سوريا، 1985.
21. شويحات أحمد مهدي ، حضارة مصر القديمة، (د.د.ن)، (السعودية)، (د،ت).
22. صالح عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، مكتبة دار الزمان، (د،م)، (د،ت).
23. علي محمد عبد اللطيف محمد، تاريخ العراق القديم، (د،ن)، مصر، 1977.
24. عصفور محمد أبو المحاسن، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة، لبنان، (د،ت).
25. علي رمضان عبده ، تاريخ مصر القديمة، ج2، دار نهضة الشروق، مصر، 2001.
26. فخري أحمد، مصر الفرعونية، ط2، دار الأنجلو المصرية، مصر، 1983.
27. فخري أحمد، دراسات في تاريخ الشرق القديم، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر، 1980.
28. فرح نعيم ،موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر ،سوريا، (د،ت).
29. فرزات محمد حرب وعيد مرعي، دول وحضارات الشرق العربي القديم، ط2، دار طلاس، سوريا، 1994.
30. مهدي أحمد شويحات ، الحضارة المصرية القديمة، (د،ن)، (د،م)، (د،ت).
31. موسى سلامة ،مصر أصل الحضارة، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر، (د،ت).

ب-المراجع المترجمة الى العربية:

1. امري والتري ، مصر في العصر القديم، تر: راشد محمد نوير ومحمد علي كمال الدين، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، 2000.
2. الدريدسيريل ، الحضارة المصرية، تر: مختار السويفي، ط1، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 1989.

3. أ. وادل، الأصول السومرية للحضارة المصرية، تر: زهير رمضان، الأهلية للنشر، الأردن، 1999.
4. انتاديوب شيخ، الأصول الزنجية للحضارة المصرية، تر: حليم ملوسون، دار العالم الثالث، مصر، (د.ت).
5. بيكي جيمس ، الآثار المصرية في وادي النيل، تر: نور الدين الزراوي، ج5، مطابع سجل العرب، (د،ن)، 1994.
6. روتن مارغريت، تاريخ بابل، تر: زينة عازار وميشال أبي فاضل، منشورات عويدات، لبنان، 1984.
7. سنيوبوس شارل، تاريخ حضارات العالم، تر: محمد كرد علي، الدار العالمية للكتب والنشر، مصر، 2012.
8. مجموعة من المؤلفين، علماء الحملة الفرنسية (وصف مصر)، تر: زهير الشايب، ط2، صندوق التنمية الثقافية، مصر، 1992.
9. كوفاليف ودياكوف، الحضارة القديمة، ج1، تر: نسيم واكيم البازجي، دار علاء، دمشق، 2000.
10. كلود جان مارغرون، السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية، تر: سالم سليمان العيسى، دار علاء، سورية، 1999.
11. ولسون جون، الحضارة المصرية، تر: أحمد فخري، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1995.

هـ. المعاجم والقواميس:

- 01 أديب سمير، موسوعة الحضارة القديمة، ط1، العربي للنشر، والتوزيع، مصر، 2000.
- 02 إيمار أندريه وجانين أوبواية، تاريخ الحضارة العام، منشورات عويدات، بيروت، باريس، (د.ت).
- 03 أبو خليل شوقي، أطلس الحديث النبوي، دار الفكر، دمشق، 2005.
- 04 زكي بك أحمد ، قاموس الجغرافية القديمة، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، 1899.
- 05 صالح عبد العزيز وآخرون، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، الهيئة المصرية العامة، مصر، 1997.
- 06 عبّودي س هنري، معجم الحضارات السامية، ط2، دار جروس برس، لبنان، 1991.
- 07 غربال شفيق محمد، الموسوعة العربية الميسرة، الدار القومية للطباعة، مصر، 1965.

/المذكرات:

- 01 السيد عبد الرحمان محمد ، الاتصالات الحضارية بين بلاد النهرين ومصر القديمة، أطروحة دكتوراه، جامعة الزقازيق، مصر، 2005.
- 02 بقة بلخير ، أثر ديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، الجزائر، 2009.
- 03 سعيدي سليم، القانون والأحوال الشخصية في كل من العراق ومصر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2010.

الموضوع	صفحة
مقدمة	أ
الشكر	
الاهداء	
الفصل التمهيدي: مصر وبلاد الرافدين دراسة طبيعية وبشرية.	
I / حضارة مصر القديمة	10
1-الموقع الجغرافي	10
2-أصل التسمية	10
3- مصر القديمة	11
4-أصل السكان	11
II / حضارة بلاد الرافدين	14
1-الموقع الجغرافي	14
2-أصل التسمية	15
3-سكان بلاد الرافدين	15
الفصل الأول: مصر الفرعونية (3200-404) ق. م	
I / عصر ما قبل الأسرات	19
1-العصر الثيني أو الطيني (3200-2690) ق.م	20
2- الأسرة الأولى والثانية	20
II /عصر الدولة القديمة	22
1- الأسرتان السابعة والثامنة	26
2-الأسرتان التاسعة والعاشر	27
III / الدولة الوسطى	28
1-الأسرة الحادية عشر والثالثة عشر	28
IV/عصر الدولة الحديثة.	30

فهرس المحتويات

31	1- الأسرة الثامنة عشر
31	2- الأسرة التاسعة عشر
32	3- الأسرة العشرون
32	4- الأسرة الحادية والعشرون
33	5- الأسرة الثانية والعشرون
33	6- الأسرة الثالثة والعشرون
33	7- الأسرة الرابعة والعشرون
33	8- الأسرة السادسة والعشرون
الفصل الثاني: بلاد الرافدين (3200-404 ق.م)	
38	I/عصر حضارة الوركاء.
38	II/مرحلة دول المدن السومرية وسلالتها
39	1- سلالات كيش الأربعة
39	2- سلالات أوروك الثلاثة
39	3- سلالتا أور
39	4- سلالة لكش
40	5- سلالة أوما
41	III/الأكاديون
43	IV/عصر الاحياء السومري
47	V/الآشوريين
47	1-العهد الآشوري القديم (2000-1500 ق.م)
48	2-العهد الآشوري الوسيط (1500-1000 ق.م)
48	3-العهد الآشوري الحديث (911-612 ق.م)
49	VI/ -الدولة البابلية الحديثة.
الفصل الثالث: العلاقات بين بلاد الرافدين ومصر الفرعونية	

فهرس المحتويات

51	I / علاقة بلاد الرافدين بمصر الفرعونية
51	1- بداية العلاقات بين مصر القديمة وبلاد الرافدين خلال العصر السومري.
53	2- علاقة مصر بالدولة الأكديّة والبابليّة القديمة.
54	3- علاقة الكاشيين بمصر القديمة
56	4- علاقة مصر بالدولة الآشورية
58	5- علاقة مصر بدولة بابل الحديثة
61	II / شواهد الاتصال الحضاري
61	1- نظام الكتابة
63	2- الأختام الأسطوانية
64	3- الأواني الفخارية
66	4- فن الرسم والنقش والنحت
68	5- تأثيرات في العمارة.
70	6- تأثيرات في الزراعة.
71	7- تأثيرات في الدين.
73	الخاتمة
76	الملاحق
88	البيبلوغرافيا
93	فهرس المحتوى

فهرس المحتويات

مقدمة

الفصل التمهيدي: مصر وبلاد الرافدين دراسة طبيعية وبشرية.

I: حضارة مصر القديمة.

- 1- الموقع الجغرافي
- 2- أصل التسمية
- 3- مصر القديمة
- 4- أصل السكان.

II: حضارة بلاد الرافدين.

- 1- الموقع الجغرافي
- 2- أصل التسمية.

3 - سكان بلاد الرافدين

الفصل الأول: مصر الفرعونية (3200-404) ق م

I: عصر ما قبل الأسرات.

II: العصر الشيني

III: الدولة القديمة .

V: الدولة الوسطى.

IV: الدولة الحديثة.

الفصل الثاني: بلاد الرافدين (3200-404) ق م

I: عصر حضارة الوركاء.

II: مرحلة دول المدن السومرية وسلالتها.

III: الأكاديون

IV: عصر الاحياء السومري

V: الآشوريين

VI: الدولة البابلية الحديثة. (الكلدانيين).

الفصل الثالث: العلاقات بين بلاد الرافدين ومصر الفرعونية.

I: علاقة بلاد الرافدين بمصر القديمة.

II: شواهد الاتصال الحضاري.

الخاتمة

الملاحق

البيولوجرافيا

الاهداء

الشكر